16
العدد السادس عشر
محرم 1440 هـ
أكتوبر 2018 م

كانو الثقافية

مجلة ثقافية نصف سنوية - تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو

نائب رئيس مجلس الوزراء يرعى الاحتفال بتكريم الفائزين بجائزة يوسف بن أحمد كانو للدورة التاسعة

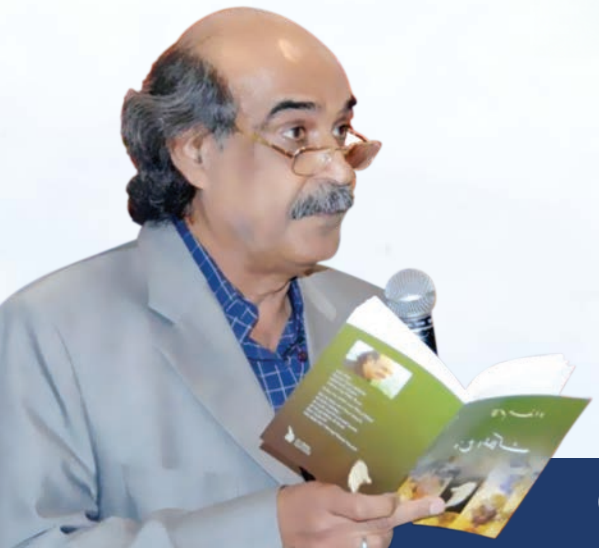

الارتحال..

من موانئ العمر: قراءة في شعر غازي القصيبي

لا تصقلْ أصفادك.. اكسرْها (شذرات في اللغة)

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات
Contents

08 الافتتاحية
نحو تنويع مصادر الدخل.. رؤية للمستقبل..
خالد محمد كانو

10 دراسات
اضطراب الساعة البيولوجية والتأثيرات الجسيمة على الصحة
بروفيسور د. فيصل عبداللطيف الناصر

16 فكر وثقافة
العلماء العرب..واستهلاك المعرفة العلمية
أ. د. رضا عبدالواجد أمين

24 فكر وثقافة
تفاعل القوتين الناعمة والخشنة بين الصين وأمريكا
د. محمد نعمان جلال

36 فكر وثقافة
سلطة المكر والحيلة والمكيدة في مدن ألف ليلة وليلة
أ.د. محمد عبد الرحمن يونس

44 فكر وثقافة
الارتحال من موانئ العمر: قراءة في شعر غازي القصيبي
أ.د.عبدالرزاق حسين
أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

60 فكر وثقافة
التربية بمذاق جديد
التربية الجمالية بمذاق جديد
د.هدى صباح

66 دراسات
السيارات ذاتية القيادة...علاج وهمي أم حقيقة؟
(رؤية اقتصادية في ميزان الربح والخسارة)
الأستاذ الدكتور أحمد عارف العساف

80 الأدب
لا تصقلْ أصفادك.. اكسرْها (شذرات في اللغة)
أ. قاسم حداد

84 الأدب
الشرنقة
ترجمة: عبدالقادر عقيل
قصة الكاتب الهندي: بالجندرا نيماد

92 الأدب
رسم الصورة في شعر نبيلة زباري
أ.د. صبري مسلم حمادي
أستاذ اللغة العربية (كلية واشنتاو – أن آربر – مشيكان الولايات المتحدة الأمريكي)

98 دراسات
أفضل استراتيجيات لزيادة الإنتاجية
الهام عبد اللطيف الناصر

104 الأدب
البيت رقم 0 (قصة قصيرة)
محمد عباس علي

106 فكر وثقافة
دَور الكتّابات الغربية المنصفة في تصحيح الصُّورة النَّمطية عن العرب والمسلمين
د.عصام خليل الدايح

112 إضاءات
نائب رئيس مجلس الوزراء يرعى الاحتفال بتكريم الفائزين بجائزة يوسف بن أحمد كانو للدورة التاسعة
مبارك سعد العطوي

www.ybakanooaward.com

رئيس التحرير
خالد بن محمد كانو

مدير التحرير
مبارك بن سعد العطوي

جميع المراسلات بإسم مدير التحرير
ص.ب: 1170
المنامة – مملكة البحرين
هاتف: 17226153(+973)
فاكس: 17226154(+973)
البريد الإلكتروني
kanooawd@batelco.com.bh
kanooawd@hotmail.com

جرافيكس
الرافد ميديا ذ.م.م
Al Rafid Media W.L.L
alrafidmedia@gmail.com
+973 39139122

المؤسسة العربية للطباعة والنشر
رقم التسجيل: SYKCO 786

مجلة علمية ثقافية شاملة تأسست عام 1429هـ - 2008م
تصدر عن جائزة يوسف بن أحمد كانو - بمملكة البحرين
العدد السادس عشر - محرم 1440هـ - أكتوبر 2018م

قواعــد النشر

- غايتنا المساهمة في تنمية الإبداع والثقافة والتقدم العلمي.
- المجلة ترحب بالبحوث والدراسات في جميع المجالات العلمية والأدبية والاقتصادية.
- وتحتفي أيضاً بالموضوعات المتعلقة بالطب ومجالات التقنية والمعلومات إلى جانب الدراسات المستقبلية.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة توضيحية وليست مرجعاً للحدود الدولية.
- البيانات والإحصاءات تقريبية.
- المجلة لا تلتزم بإعادة المواد التي تتلقاها للنشر.
- ما ينشر يعبر عن رأي الكاتب ولا يعبر عن رأي المجلة.
- يجوز الاقتباس مما ينشر شرط الإشارة إلى المجلة ورقم العدد وتاريخ الإصدار، وإلا اعتبر خرقًا لقانون الملكية الفكرية.
- يرسل الكاتب عنوانه كاملاً، وسيرته الذاتية إذا كان يكتب لأول مرة في هذه المجلة.

المجلة ترحب بكل نقد وتوجيه واقتراح

- يسعدنا أن نتلقى رسائلكم بواسطة البريد أو على البريد الإلكتروني.

وللجميع شكرنا وتقديرنا،،،

هيئة التحرير

تفاعل القوتين الناعمة والخشنة بين الصين وأمريكا 24

السيارات ذاتية القيادة...عـلاج وهـمي أم حقـيقة؟ (رؤية اقـتصادية في ميزان الربح والخسارة) 66

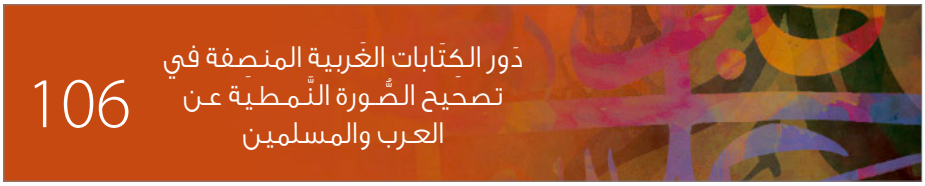

دَور الكِتَابات الغَربية المنصِفة في تصحيح الصُّورة النَّمطية عن العرب والمسلمين 106

نحو تنويع مصادر الدخل..
رؤية للمستقبل..

تواجه معظم الدول الخليجية عددا من التحديات الاقتصادية الناجمة عن التقلبات الاقتصادية الراهنة، حيث إن الأزمات المالية والاقتصادية العالمية وتقلبات أسعار النفط والأزمات السياسية المتعاقبة تؤثر بشكل كبير على الإيرادات المالية للدولة، في ظل تشابك الأسواق العالمية، وانفتاح دولنا على العالم.

ولا شك أن الدول التي تتجه إلى تنويع مصادر الدخل، تكون أقل تأثرًا بهذه الأزمات العالمية، وهو ما لا ينطبق بشكل كبير على الدول الخليجية، وقد أسفرت أزمة انخفاض أسعار الطاقة عن اختلالات في موازنات الدول الخليجية، كما أسفرت عن تقليص الإنفاق الحكومي على برامج دعم السلع والخدمات، بل زيادة في الرسوم وإقرار بعض أنواع الضرائب التي لم تكن موجودة من قبل، وربما ينعكس ذلك على ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب والخريجين.

لذلك، فإن التفكير والتخطيط لاستراتيجيات تنويع مصادر الدخل لدول الخليج هو بمثابة الحل الأمثل لمواجهة عجز الموازنات الحكومية ونقص تدفق الموارد المالية، ولم يعد الأمر ترفا فكريا، أو خيارا يمكن تجاهله، ولا مناص من التوجه نحو الإنتاج في مجالاته المختلفة.

لذا، فإن مملكة البحرين، من خلال رؤيتها الطموحة للمستقبل، لابد أن تدخل غمار الإنتاج من شتى طرقه، وتفتح مجالات الاستثمار في جنبات مملكة الخير والعطاء، وهو ما ترتكز عليه الرؤية الاقتصادية الطموحة للبحرين 2030، وهو ما يستلزم حزمة من التشريعات التي من شأنها أن تعمل على جذب المستثمرين العرب والأجانب وتضمن حقوقهم، وفي الوقت نفسه ألا يمس ذلك ثوابت المجتمع، ولا مكتسبات المواطن.

كما أنه لابد من العمل توعويا وإعلاميا على تغيير ثقافة المواطن الاستهلاكية، وخلق اتجاهات مؤيدة وداعمة لأصحاب الصناعات الصغيرة والمتوسطة، وتشجيع ثقافة العمل والإنتاج في مجتمعنا، بما يتلاءم مع المعطيات والمتغيرات الراهنة.

إدارة التحرير

بروفيسور د. فيصل عبداللطيف الناصر
استشاري طب العائلة
رئيس مركز الرعاية الصحية المنزلية
الأمين العام للجمعية الدولية لتاريخ الطب الإسلامي

اضطراب الساعة البيولوجية والتأثيرات الجسيمة على الصحة

يقول الباري عز وجل في محكم كتابه العزيز: (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا – إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) صدق الله العظيم «٨٦ النمل».

فالليل سكنَ للناسَ يسكنونَ فيهِ ويهدؤون، راحة لأبدانهم من تعب العمل والجهد اثناء النهار، وجعل الله النهار مضيئا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها فيتقلبون فيه لمعايشهم. ولذلك كان لابد من تواجد جهاز في جسم الانسان يتفاعل مع هذه المتغيرات البيئية المحيطة به ويهيئه ليجعله مستعداً لتلك المتغيرات فيسكن الجسم ويخلد إلى الراحة والنوم في الظلام ويعود للحيويه والنشاط في النور، وهذا الجهاز هو الساعة البيولوجية.....فما هي تلك الساعة :

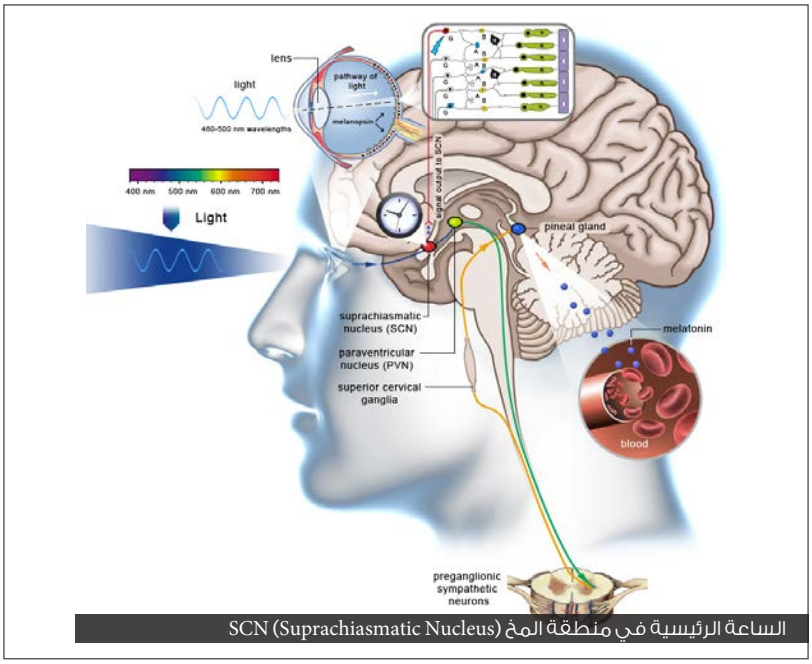

الساعة الرئيسية في منطقة المخ (SCN (Suprachiasmatic Nucleus

إن الساعة البيولوجية هي الساعة الايقاعية في الجسم والتي تحدد وقت النوم واليقظة وتُقيد العملية البيولوجية التي تتذبذب خلال 24 ساعة لتتحكم في دورات النوم واليقظة فتمكن جسم الكائن الحي من تنسيق سلوكياته مع المتغيرات اليومية في البيئة المحيطة به فيما يختص بدورة النهار والليل وأنماط السلوك النهاري.

هذا ويتم التحكم في إيقاعات الساعة البيولوجية بواسطة ساعة رئيسية أخرى تقع في منطقة من المخ تسمى...

SCN (Suprachiasmatic Nucleus)

التي تتلقى الاشارات الضوئية من خلال شبكية العين ثم تنتقل عن طريق منظومة معقدة من الاعصاب لكي يتم تنسيق الاستشعارات المستلمة للتفريق بين الضوء والظلام. عندئذٍ تتفاعل الساعة البيولوجية خلال دورات الليل والنهار مع المحفزات الخارجية لضمان الأداء الفعال للنظام البيولوجي للجسم بالتنسيق مع عمل اجهزة وأعضاء الجسم، فتتحكم إيقاعات هذه الساعة في عمليات الجسم الحيوية لتساعده على الاستخدام الامثل للطاقة بالتوازن مع البيئة المحيطة به وبالتالي تعزيز البقاء على قيد الحياة.

وهذا النظام المتناسق والمتوازن هو لأمرٌ حيوي لتنظيم التمثيل الغذائي واستهلاك الطاقة وبالتالي الديمومة في دورات النوم واليقظة، لذلك فليس مستغرباً ان تترافق العديد من المشاكل الصحية مع اضطراب هذه الإيقاعات، فتشمل اضطرابات حادة

الترددات الكهرومغناطيسية (الكهرباء والهاتف) تؤثر على ايقاعات الساعة البيولوجية

في الجهاز الهضمي وفي الدورة الشهرية لدى الإناث حيث تحصل هذه المشاكل على الأرجح بسبب عدم مواءمة إيقاعات الساعة البيولوجية مع البيئة الخارجية وخصوصاً مع التغيير العصري المستحدث في نمط المعيشة حيث يطول السهر ليلاً والاستيقاظ المتأخر في الصباح.

لقد وجدت الدراسات أن الترددات المنخفضة للموجات الكهرومغناطيسية والمنبعثة من بعض الاجهزة (وخصوصاً خطوط الكهرباء والهاتف المحمول اذا كان بالقرب من سرير النوم) تؤثر كذلك بشكل مباشر على ايقاعات الساعة البيولوجية وان التعرض المنتظم لهذه الموجات تؤثر سلباً على انتاج وإفراز الميلاتونين (الهرمون الذي يتحكم في النوم واليقظة والذي يفرز من غدة صغيرة في المخ بتحكم مباشر من الساعة البيولوجية) علماً بأن افراز الميلاتونين مرتبط بالضوء فخلال النهار تنتقل مؤشرات الضوء إلى مركز التحكم في الساعة البيولوجيه في الدماغ مقللاً افراز الميلاتونين بينما تصل النسية إلى الذروة أثناء الليل فيزداد في المساء ويبقى مرتفعاً خلال الليل حتى يقل تدريجيا مع الساعات الاولى من الصباح.

تتواجد الساعة البيولوجية لدى جميع الكائنات الحية وتعتبر اداة حيوية هامه في جسمها وبالتالي فإن اضطرابها يؤدي إلى اضطراب النوم، هذا ولقد ارتبط عدم انتظام النوم واضطراب الساعة البيولوجية منذ امد طويل بالعديد من الأمراض الجسدية

والعضوية والعصبية والنفسية، فهنالك ادلة قوية على ان اي خلل فى هذه الساعة يسهم في زيادة احتمالات الاصابة بالأمراض التي تؤثر على طول العمر من قصره، فهي على سبيل المثال تكون في الالتهابات المتنوعة وأمراض القلب والأوعية الدموية ومخاطر الاصابة بالسكري. في الواقع هنالك علاقة قوية بين محدودية النوم مع زيادة الوزن والاصابة بالسمنة وذلك لعدة عوامل من بينها حدوث تغيرات واسعة في الإشارات الهرمونية التي تنطوي على الشبع حيث تتأخر تلك المؤشرات مؤدية إلى تأخر الاحساس بالشبع واستمرار الاحساس بالجوع وانخفاض الجلوكوز مما ينتج عنه الافراط في التهام الطعام وانخفاض استهلاك الجسم للطاقة مؤدياً في نهاية المطاف إلى السمنة، وأثبتت الدراسات من ان الأطفال الذين لا يتمتعون بنوم كافٍ يتعرضون لزيادة احتمالات السمنة وان الانخفاض التدريجي في مقدار الوقت الذي يقضيه الانسان في النوم وأيضا زيادة النشاط خلال الليل قد يعطل التزامن بين فترات النوم والنشاط مع فترات التناوب بين التغذية والصيام وتخزين الطاقة أو استخدامها. وحيث ان العديد من وظائف التمثيل الغذائي تحدث في أوقات مختلفة من اليوم فان الأدلة تشير إلى أن التقلبات اليومية قد تؤثر سلبا ليس فقط على عملية التحكم في الجلوكوز ولكن أيضا على الالتهابات وتوازن السوائل في الجسم وتفاعل جدران الأوعية الدموية مع ذلك التغيير. وقد بينت الابحاث تأثير منظومة الساعة البيولوجية على الجينات التي عند اضطرابها تتسبب في تشوهات في العملية الأيضية، فعمليات الأيض والإيقاعات البيولوجية والنوم مترابطة من خلال التفاعلات المعقدة في الخلايا.

> دراسات من البلدان المتقدمة رصدت زيادة نسب حدوث سرطانات القولون وارتباطها باضطرابات الساعة البيولوجية

تدعم البحوث فرضية أن احد العوامل الرئيسية المساهمة والتي تنطوي في التسبب في متلازمة التمثيل الغذائي (السمنة، ارتفاع ضغط الدم، السكري وارتفاع الدهون) فى الدول المتقدمه هو التغيير في النمط الوظيفي، فالعمل في الفترات الليلية (النوبات الليليه) وارتفاع ظاهرة السهر والحد من النوم الطوعي (اي البقاء فى حالة اليقظة إلى ساعات متأخرة من الليل) وإدخال الضوء الاصطناعي فى بيئة الانسان اضافةً إلى تغيير السلوك الطبيعي للانسان (كمثل التغيير المستمر في مواعيد النوم بسبب الرحلات الجوية السريعة عبر القارات مثلاً) تؤدي مجتمعةً إلى اضطراب الساعة البيولوجية متسببة في الإخلال الوظيفى لجميع اجهزة وأنسجة وخلايا الجسم واضطراب عملية التمثيل الغذائي مما ينتج عنة الإصابة بالبدانة وداء السكري فضلا عن الاضطرابات البدنية والعقلية الأخرى.

ففي الولايات المتحدة وجدت الدراسات من

ان انخفاض مدة النوم وعدم التمتع بنوم جيد بسبب النظام العصري للمعيشة يتزامن مع ازدياد انتشار الامراض الغير وبائية، كارتفاع ضغط الدم وداء السكري من النوع الثاني والسمنة واختلال في مؤشر كتلة الجسم، كما يؤثر تغيير السلوك الغذائي والاعتماد على الطعام الغني بنسب عالية من الدهون أيضا على نظام الساعة البيولوجية.

انه لمن المثير للدهشة أن الأفراد الذين لديهم ميول إلى تناول الوجبات خلال الليل معرضون للسمنة ولإصابتهم بأمراض وبمتلازمة توقف التنفس أثناء النوم بنسبه أعلى من الاشخاص الذين يتناولون وجباتهم بصفة منتظمة خلال النهار وذلك بسبب الخلل الحادث في جينات الوقت داخل الخلية.

كما ان العلاقة واضحة بين بعض المضاعفات الخطيرة لأمراض القلب والأوعية الدموية بما في ذلك إحتشاء عضلة القلب والموت القلبي المفاجئ وتمزق جدار الشريان الاورطي والانسداد الرئوي ونقص تروية الأطراف مع عدم انتظام الساعة البيولوجية، علماً بان تلك المضاعفات تحدث وتصل إلى ذروتها عند الفجر أو عند بزوغ النور، كما تزداد عند العمل في المناوبات الليلية بمعدل 1.6 لدى الرجال عند سن 55 عام و3.0 لدى النساء عند سن 45 عام و احتمالات الاصابة بالذبحة القلبية المميتة تزداد ب 45٪ لدى الأفراد الذين ينامون في الليل 5 ساعات أو أقل. وهذا ما يسمى بظاهرة الفجر، ففي الاصحاء من الناس يرتفع إنتاج الجلوكوز في الصباح الباكر (اي بعد الساعة 5:30 صباحاً) وبالتالي يزداد تركيزه في البلازما ويزداد إفراز الأنسولين بشكل ملحوظ لهضم ذلك الجلوكوز، ويحدث كذلك تغير في افراز هرمون الكاتيكولامين وهرمونات النمو والكورتيزون وهرمون الإيبينفرين والنيوبرينفرين وبعض الانزيمات الاخرى مما يؤدي إلى اضطراب فسيولوجية الجسم لدى المعرضين، فتزداد احتمالات الاصابة بإحتشاء عضلة القلب وحدوث الأزمة القلبية في الصباح الباكر بسبب إفراز هرمون الكاتيكولامين المؤثر على درجة التحكم في ضغط الدم ودرجة تراكم الصفائح الدموية وبالتالي مستوي تخثر الدم ومعدل ضربات القلب. كما تزداد هذه الاحتمالات سوءً لدى المصابين بداء السكر.

> مضاعفات اضطراب الساعة البيولوجية على الجهاز النفسي ايضا متسببة في علل كالزهايمر والخرف والانفصام والاكتئاب

بعض الدراسات من البلدان المتقدمة رصدت زيادة نسب حدوث سرطانات القولون وارتباطها باضطرابات الساعة البيولوجية والنوم. كما وجدت علاقة واضحة بين العمل ليلاً والإصابة بسرطان الثدي، لأن هرمون الميلاتونين له تأثير عكسي على هرمون الاستروجين وغيرها من الهرمونات التناسلية، وأن انخفاضه يؤدي إلى زيادة تركيز هرمون البروجسترون والاستروجين، والأخير له تأثير محفز على نمو الخلايا الثديية فتتكاثر وبالتالي تزداد فرص

حدوث الأخطاء والطفرات الجينية المؤدية إلى الإصابة بسرطان الثدي، علماً أن أحد الصفات الحميدة للميلاتونين من أنها مضادة للأكسدة (أي تقوم بالتهام الجسيمات الحرة في الدم التي يؤدي تراكمها إلى زيادة احتمالات تلف الخلايا وحدوث الطفرات الجينية).

ولا تقف مضاعفات اضطراب الساعة البيولوجية على الاعضاء الجسدية فحسب بل تعمل كذلك على الجهاز النفسي متسببة في علل كالزهايمر والخرف والانفصام والاكتئاب، حيث يشكو مرضى الاكتئاب من اضطراب النوم وأنه بالإمكان علاج الخرف أو إرجاء حدوثه عن طريق علاج مشاكل النوم.

وفي سياق أهمية النوم المبكر والبركة التي تحل عند الاستيقاظ باكراً أذكر إحدى الروايات التاريخية التي لا يعلم مدى صحتها، حيث لم أجد سندا لها: "يقال إن أحد الزنادقة تحاور مع إبراهيم بن أدهم (هو إبراهيم بن أدهم، أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال له التميمي، وهو أحد علماء التصوف في القرن الثاني الهجري) فقال الرجل: ليس هناك شيء اسمه بركة، فرد عليه إبراهيم بن أدهم: أرأيت الكلاب والأغنام؟ قال الرجل: نعم فقال ابن ادهم: أيهما تنجب أكثر؟ فقال الرجل الكلاب تنجب إلى 7 أما الأغنام فتنجب إلى 3، فقال ابن أدهم: لو نظرت حولك أيهما أكثر؟ فقال الرجل: أرى الأغنام أكثر، قال ابن أدهم: أليست هي التي تذبح لإكرام الضيف والأضاحي وفي المناسبات؟ قال الرجل: نعم، قال ابن أدهم: هذه هي البركة، فقال الرجل: ولماذا يكون ذلك؟ لماذا استحقت الأغنام البركة من دون الكلاب؟ قال ابن أدهم: لأن الأغنام ترقد أول الليل وتقوم قبل الفجر فتدرك وقت الرحمة فتنزل عليها البركة وأما الكلاب فتنبح طول الليل فإذا دنا وقت الفجر هجست ونامت ويفوت عليها وقت الرحمة فتنزع منها البركة".

ختاماً فإن من نعم الله سبحانه وتعالى على الناس أنه جعل الليل راحة للأبدان وسكينةً للنفوس، حيث يقول الله جل جلاله: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) صدق الله العظيم «٩٦ الأنعام». فسبحان الله في خلقه الليل والنهار وجعلهما آيتين تدلان على عظمته، فذكر (الليل) في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة في خمس وعشرين آية، كما ذكر كلمة (النهار) سبعا وخمسين مرة، ونجد أن كلمة (الليل) تسبق كلمة (النهار)، فمنذ نشأة الكون جاء الظلام أولاً ومر بداية خلق الكون بعصر مظلم استمر طويلاً ثم من بعده أتى النور (النهار أو الضوء)، فلذلك تواردت كلمة الليل كثيراً في آيات القرآن الكريم لأنها هي الأصل.

إن النوم الفعال والجيد خلال الليل هو أكثر من مجرد ترف فهو على درجة من الأهمية للراحة ثم العمل المثمر والمثالي لأجهزة وأعضاء الجسم، ولاسيما الدماغ، ويجب الحذر ثم الحذر من الاعتياد على السهر لكي نحمي البدن والنفس من المخاطر ونحافظ عليهما من الإصابة بالأمراض الجسدية والنفسية، وحتى لا تفوتنا صلاة الفجر وما نناله من الصحة والثواب والبركة حين أدائها في وقتها.

أ. د. رضا عبدالواجد أمين
أستاذ الإعلام بالجامعة الأهلية

العلماء العرب..
واستهلاك المعرفة العلمية

ظهرت النظريات العلمية في كافة العلوم والفنون لحاجة الإنسان في تقنين المعارف وتنظيمها في إطار محدد، وإضفاء طابع الانتظام عليها، ويتوصل إلى النظريات بعد سلسلة من التجارب والدراسات والبحوث التي تؤكد صدق النظرية العلمية والعلاقات المتعددة بين متغيرات الظاهرة أو الظواهر التي خضعت للدراسة والتحليل.

وتستخدم النظريات العلمية لخدمة الإنسان ومساعدته في الارتقاء بحياته، وذلك هدف العلم بشكل عام ابتداء من نيوتن الذي اكتشف قانون (الجاذبية الأرضية) حينما لاحظ وهو جالس تحت شجرة التفاح أن ثمرة التفاح حينما تنضج تهبط إلى الأرض، وفكر في هذا التساؤل: لماذا لم تصعد إلى الأعلى بدلا من الهبوط إلى الأسفل؟ لاشك أن هناك قانونا ينظم ذلك، والأمر بالطبع لا يقتصر على ثمرة التفاح، بل إنك لو أمسكت بأي شيء ثم أسقطته من يدك فإنه يهوى إلى الأسفل، إذن فهناك قاعدة منتظمة لتلك الأمور، وهكذا فالعقلية العلمية التي تحاول اكتشاف الأشياء لا بد أن تتمتع بحس نقدي تأملي في مفردات المجتمع الذي تعيش فيه.

ومرورا ببعض الإسهامات العلمية الحديثة مثل ما توصل إليه الدكتور مصطفى السيد العالم المصري الذي توصل إلى اكتشاف علمي قد يسهم في إيجاد علاج لمرض السرطان الذي انتشر بشراهة في العصر الحالي باستخدام ذرات متناهية الصغر من معدن الذهب، وقام بتجربته على الفئران في المعامل الأمريكية، وقد قام الرئيس الأمريكي السابق بلقائه في البيت الأبيض بهدف تكريمه.

وهكذا، فإن العلم ينبغي أن يقوم بخدمة الإنسان في كافة مناحي الحياة لتطويرها، والارتقاء بها نحو الأفضل، والأنفع، ولتجنبه أضرار وويلات تدخل الإنسان الأحمق في الطبيعة تلوثا وإفسادا.

فالله ـــ عز وجل ـــ خلق الإنسان وأمره بالعلم والتعلم، وسنجد أول كلمة في القرآن الكريم نزلت على قلب النبي العظيم محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هي (اقرأ)، وذلك في سورة العلق، وهي أول ما نزل من القرآن الكريم، يقول تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ «1» خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ «2» اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ «4» عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ «5»).

ومن المهم الإشارة إلى أن الله ـــ تعالى ـــ لم يأمر الإنسان بالقراءة في العلوم الشرعية في أول ما أمره بالقراءة، فلم يقل الله تعالى اقرأ في الفقه أو التفسير أو الحديث -مع التقدير الشديد والاعتراف بشرف تلك العلوم- ولكنه أمر بتعلم وقراءة العلوم المادية الطبيعية، طلب من الإنسان قراءة آيات الكون وهو يقرأ آيات القرآن الكريم، فالله تعالى أنزل إلينا نوعين من الآيات:

أولا: الآيات القرآنية التي نتعبد لله بها، ونقرأها في الصلاة، وتبين لنا كثيرا من أحكام الدين، وترسم لنا الحدود فيما بين الناس وبعضهم البعض.

ثانيا: الآيات الكونية، أو الآيات الآفاقية نسبة إلى قوله تعالى في سورة (فصلت): (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ «53»)[1].

والعلوم التي دعا القرآن الكريم الناس إلى القراءة فيها ومعرفتها هي سائر العلوم، المتعلقة بخلقه سبحانه للإنسان والكون وما فيه من آيات عظيمات.. الإنسان دراسته تكون من مناح شتى، دراسته من الناحية الفسيولوجية التشريحية، ودراسته من الناحية

السيكولوجية، ودراسته ككائن اجتماعي، ودراسته كإعلامي (قائم بالاتصال) أو كجمهور (متلقٍّ أو مستقبل للرسائل الإعلامية) وهكذا فيمكن دراسة الإنسان من ميادين مختلفة، كل هذه الدراسات والبحوث تؤدي في نهاية المطاف إلى تنمية وزيادة معارف الإنسان ومهاراته، كما أنها تؤدي إلى تطوير حياة الإنسان، أفرادا ومجتمعات، من حيث تدعيم النقاط الإيجابية، والإكثار منها، والتحذير من النقاط السلبية والعمل على تلافيها، وهذه هي غاية العلوم الحقيقية سواء في الشرق أو الغرب.

إن الله تعالى خلق الإنسان وسخر له كل ما في الكون ليكون في خدمته، وأمره الله بعمارة الكون، وخلافة الأرض، يقول تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ"[2].

ومن الملاحظ أن الله تعالى جعل من مسوغات خلافة الإنسان لله في الأرض أن علمه الأسماء كلها، وعلمه ما لم تتعلمه الملائكة، وطلب منهم أن يخبروه بعض العلم الذي علمه آدم فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إذن فمادة العلم هي أول ما تعلم آدم هي أكثر ما تكرر في هذا الحوار الذي دار بين الله تعالى والملائكة وآدم (الإنسان الأول)، وفي ذلك دلالة على أهمية العلم وقيمته في الحياة، حيث به تستقيم، ويضمن ألا يضل عن الصراط القويم.

ويلعب العلم والبحث العلمي وتطبيقاته التكنولوجية دورا مهما في تطور ورفاهية المجتمع في أي دولة. ويمكن اعتبار إجراء البحوث العلمية مقياسا لتقدم هذه الدول ونموها الاجتماعي والاقتصادي. فالدول التي تعرف كيف تطبق مخرجات البحث العلمي، نجدها دائما تحتل مكان الصدارة في مجالات عديدة، مثل تصنيع الآلات والأجهزة الحربية، وهذا يجعلها تتفوق عسكريا وتكثر مساهماتها الثقافية والعلمية في الحضارة الإنسانية، أو في مجال تقديم الخدمات المتنوعة لمواطنيها وفق أحدث الأساليب. أو كمثال آخر وليس أخرا، في نموها الاقتصادي وبناء المصانع وزيادة الإنتاج وحسن استغلال الموارد الطبيعية.

> "يلعب البحث العلمي وتطبيقاته التكنولوجية دورا هاما في تطور ورفاهية المجتمع في أي دولة

ويرتبط البحث العلمي وتطبيقاته التكنولوجية بالتنمية الوطنية والإعمار ارتباطا عضويا لا يمكن فصله، والدول المتقدمة صناعيا بارعة في ترسيخ هذا الارتباط والاستفادة منه لأقصى الحدود. حيث يعود

التحسن في مستوى معيشة أفرادها بنسبة 60-80% إلى التقدم العلمي والتقني، بينما يعزى هذا التحسن بنسبة 20-40% إلى وجود رأس المال.

ويلعب البحث العلمي وتطبيقاته التكنولوجية دورا هاما في تطور ورفاهية المجتمع في أي دولة. ويمكن اعتبار إجراء البحوث العلمية مقياسا لتقدم هذه الدول ونموها الاجتماعي والاقتصادي. فالدول التي تتميز بكفاءة تطبيق مخرجات البحث العلمي، نجدها دائما تحتل مكان الصدارة في مجالات عديدة، مثل تصنيع الآلات والأجهزة الحربية، وهذا يجعلها تتفوق عسكريا وتكثر مساهماتها الثقافية والعلمية في الحضارة الإنسانية، أو في مجال تقديم الخدمات المتنوعة لمواطنيها وفق أحدث الأساليب. أو كمثال آخر، في نموها الاقتصادي وبناء المصانع وزيادة الإنتاج وحسن استغلال الموارد الطبيعية. وتسمى هذه الدول بالدول المتقدمة أو الصناعية (أو دول الشمال). بينما نجد دولا أخرى تسمى بالدول النامية (أو دول الجنوب) نرى أن قدرتها على استخدام العلم والبحث العلمي وتطبيقاته التكنولوجية متخلفة[3].

لكن المتأمل للشرق، وتحديدا للدول العربية والإسلامية، التي نزلت عليها هذه القيم والمعاني المحفزة لطلب العلم وتقديره أول ما نزلت، يجد البحث العلمي وقيمة العلم في ذيل اهتمامات تلك المجتمعات، ويجدها تفضل أنواعا معينة من الأنشطة الإعلامية والاجتماعية على كثير من القيم العلمية المهمة، فهذه المجتمعات على سبيل المثال تنفق على إنتاج الأفلام والمسلسلات أضعاف ما تنفقه على البحث العلمي، وتخصص صفحات كثيرة في الصحف، ومساحات كبيرة في إذاعاتها وتلفزيوناتها للحديث عن الممثلين والمطربين ولاعبي كرة القدم مقابل الحديث عن العلم والعلماء والباحثين، بل إن مثالا صارخا على عدم الاكتراث بأهمية العلم والبحث العلمي في الدول العربية أن دولة كبيرة من حيث عدد السكان والمكانة والتاريخ مثل مصر تخصص أقل من 1% من إجمالي الناتج القومي بها للإنفاق على البحث العلمي، في حين تخصص إسرائيل 6% من ناتجها القومي للأغراض البحثية العلمية، لذا لم يكن من المستغرب أن لا توجد أي جامعة عربية في قائمة أفضل مائة جامعة على مستوى العالم التي قام بتحديدها بعض المؤسسات البحثية الدولية طبقا لتصنيف ثابت ومعايير موضوعية، في حين ذكر اسم اسرائيل في هذا التصنيف.

وللإنصاف فإن البحث العلمي في الوطن العربي والعالم الإسلامي لديه من المؤهلات البشرية والمادية ما يجعله يتبوأ منزلة متقدمة إذا ما توافرت الإرادة البشرية وحسن الإدارة والمناخ الملائم الذي يشجع العلم والعلماء والباحثين، ويضمن لهم الحياة الكريمة اللائقة بهم، كما أن كثيرا من أبناء هذه الدول أثبتوا تميزا وتفوقا كبيرا على الصعيد الدولي، وعلى سبيل المثال لا الحصر: أحمد زويل ومصطفى السيد ومجدي يعقوب، وغيرهم كثيرون.

إن العلم أفضل فعاليات الإنسان وأكثر أشكال الحضارة البشرية حضورا وتمثلا وأشدها إيجابية، وإن هذه الحقب المتعاقبة من تاريخ الإنسان وأنشطته، ما كان يمكن اقتحامها ومحاولة دراستها إلا بواسطة

مناهج للبحث العلمي. فالمضادات الحيوية والحاسبات الإلكترونية والطاقة النووية والسفر عبر الفضاء..الخ كمكتشفات بالغة التطور، تثير الدهشة والإعجاب، وتمتد بجذورها إلى الجهد الإنساني، وكانت سببا ونتيجة لتطور فكر ونمو تفكير الإنسان. فالعلم والبحث العلمي ينتجان من العقل ويمثلان خيرا عميما متاحا للجميع، وليس حكرا على فئة ما.

كما أن العلم شريان تاجي من شرايين الحضارة الإنسانية، ونبضه مؤشر دال على حيوية الحضارة والتقدم ورقي الأمم. والحضارة.

والمنهج العلمي إذن هو طريقة تنظيم عملية اكتساب المعرفة العلمية، إنه المبادئ التنظيمية الكامنة في الممارسات الفعلية للعلماء الذين انخرطوا بنجاح، وعلى مر العصور، في إنتاج المعرفة العلمية والإضافة إلى نسق العلم.

سمات العلم:

وللعلم مجموعة من السمات الرئيسية، تتلخص أهمها:

يستخدم منهجا متعارفا عليه، وهذا هو الأساس في العلم أنه طريقة تفكير.

أنه مجموعة من القوانين تفسر ظاهرة أو ظواهر معينة.

جسد من المعرفة تتراكم مكوناته على مر سنوات عديدة من البحث عن طريق جهود علماء على مر سنوات طويلة.

الموضوعية، وهي مسألة نسبية إلى حد كبير، ولا توجد حيادية أو موضوعية بنسبة 100%، لكننا لابد أن نبذل أقصى طاقتنا للوصول إلى الموضوعية.

التعميم.. وهو هدف العلم، أن نخرج بقوانين ونظريات علمية تعميمية تنطبق على أكبر عدد ممكن من الظاهرات.

ويمكن تعريف العلم -في هذا السياق- بأنه:

مجموعة من المفاهيم والمبادئ النظرية ذات علاقة نفعية للإنسان[4].

وتأتي النظريات العلمية لتمثل القوانين المنتظمة التي توصل إليها العلماء والباحثون لضبط وفهم الظواهر التي تحيط بالإنسان.

مفهوم النظرية:

إن كلمة نظرية Theory في الإنجليزية معناها:

الجانب النظري من علم أو فن[5]

والنظرية في دائرة المعرف البريطانية:

هي خطة ذات مراحل مرتبة ذهنيا، تشمل مجموعة من النظم والعمليات والافتراضات والاقتراحات التي تتسبب في إحداث نتيجة قائمة على الاستدلال الذهني المنطقي.

وهي ترتيب منطقي منهجي للحقائق طبقا لطبيعة العلاقة بين هذه الحقائق، وبين فروض مسبقة، وهي تفسير لصحة بعض الفروض التي لا ترقى إلى مستوى القانون.[6]

وتعرف النظرية بأنها مجموعة من المتغيرات والمفاهيم والافتراضات تقدم نظرة منظمة للظاهرة، وذلك من خلال تحديد العلاقات بين المتغيرات بغرض تفسير الظاهرة

والتنبؤ بحدوثها في المستقبل.

والنظرية هي طريقة لمحاولة فهم موقف أو ظاهرة بهدف التحكم فيها.

والنظرية لا بد أن تقوم بالربط بين المفاهيم أو الربط بين الحقائق.

كما أن النظرية العلمية تمثل نظاما أو منظومة من القوانين، وهي ليست مجرد تجميع للقوانين، فالقانون يتغير نوعا ما عندما يدخل في نطاق نظرية لها نظام خاص.

والنظريات العلمية في مجال العلوم الاجتماعية -ومنها علوم الإعلام- تتسم بالثبات النسبي، بعكس النظريات العلمية في مجال العلوم التطبيقية والرياضية التي تتسم بالثبات المطلق، وهو فارق جوهري بين العلوم التطبيقية والاجتماعية بشكل عام.

وظائف النظرية العلمية:

للنظرية العلمية ثلاثة وظائف مهمة:

تفسير وفهم الظاهرة، وهي أحد أهم أهداف العلم والبحث العلمي بشكل عام.

التنبؤ، ويعني إمكانية التعرف على ملامح الظاهرة في المستقبل القريب أو البعيد، استنادا إلى دراسة الواقع دراسة متعمقة.

التلخيص والتجميع للحقائق في صورة تعميمات علمية.

فالنظرية إذن هي طريقة لمحاولة فهم موقف ما أو ظاهرة محددة، بهدف التحكم فيها.

المفاهيم:

وتتكون النظرية العلمية من المفاهيم

والمفاهيم هي تجريدات، بناءات صغيرة جزئية، وهي اللبنات الأولية التي تساعد في فهم النظرية، التي هي بدورها هدف العلم، مثال ذلك إذا أمسك المشاهد بالريموت كنترول وهو جالس أمام التلفزيون، واستعرض

مجموعة من القنوات ثم استقر به المقام على إحداها، فإن هذا السلوك يمكن أن نضع له مفهوم (التعرض الانتقائي) ليعبر عن حرية المشاهد في اختيار المضامين الإعلامية التي تلبي حاجاته، وتتفق مع رغباته ودوافعه للمشاهدة، فالمفهوم يتميز بأنه عبارات لفظية وجيزة يستعاض بها عن الجمل الطويلة التي تصف موقفا أو فردا أو ظاهرة من الظواهر.

ولابد في البحوث العلمية من (تحديد المفاهيم) أو (تحديد المصطلحات) من خلال وضع تحديد لفظي لمفهوم الكلمة المعبرة عن الظاهرة موضع الدراسة، حتى تصل المعاني والرموز بين الباحث ومن يتعرضون لبحثه بصورة صحيحة، وهذا الأمر يعد من أبجديات البحث العلمي.

وهناك نوعان من التعريفات اللازمة لكل مفهوم نستخدمه في أي بحث علمي:

الأول: وهو ما يعرف بالتعريف النظري، وهو تعريف للمفهوم كبنية فكرية، وعادة ما نحصل على هذه التعريفات من المعاجم والقواميس والدراسات السابقة.

الثاني: هو ما يعرف بالتعريفات الإجرائية، وهو تحديد لمفهوم الكلمة أو المصطلح كما يستخدمه الباحث في دراسته، أي أنه ربما يحتل نطاقا أضيق من المفهوم النظري.

فمثلا يمكن أن نقول إن الصحافة الإلكترونية، أو الصحافة الفورية، أو صحافة الشبكات، أو الصحافة التفاعلية، أو صحافة الوسائط المتعددة، على اختلاف مسمياتها بين الباحثين العرب، هي: "وسيلة من الوسائل متعددة الوسائط تنشر فيها الأخبار والمقالات وكافة الفنون الصحفية عبر شبكة المعلومات الدولية الإنترنت بشكل دوري، باستخدام تقنيات عرض النصوص والرسوم والصور المتحركة وبعض الميزات التفاعلية، وتصل إلى القارئ من خلال شاشة الحاسب الآلي، سواء كان لها أصل مطبوع، أو كانت صحيفة إلكترونية خالصة"[7]، فإن بوسع باحث آخر أن يستخدم مفهوما للصحافة الإلكترونية يقتصر على الصحف التي توجد على الإنترنت ولها امتداد ورقي، أو تلك التي تنشر على الإنترنت فحسب.

وتحديد المفاهيم الإجرائية في مجال بحوث الإعلام، بل وفي مجال البحوث الاجتماعية بشكل عام أمر في غاية الأهمية، نظرا إلى عدم الاتفاق بين الباحثين والعلماء في هذا المجال على مفاهيم ثابتة للألفاظ المعبرة عن الظواهر أو المشكلات العلمية، ولضمان وصول الرسالة من دون تشويش بين الباحث وغيره من الباحثين أو القراء.

والملاحظ أن الإسهامات العربية في مجال النظريات العلمية محدود جدا إذا ما قورن بإسهام العلماء الغربيين في هذا المجال، بل يكاد يكون منعدما لجملة من الأسباب ربما لا يتسع المقام لسردها الآن.

إن العلماء العرب مدعوون بقوة إلى الدخول في ساحة إنتاج المعرفة التي من شأنها أن ترتقي بالدراسات والبحوث التي يتم إنجازها في مجال العلوم الاجتماعية والطبيعية على حد سواء، حتى لا تتحول أمتنا إلى أمة مستهلكة (معرفيا)!

الهوامش

1 – سورة فصلت، الآية رقم 54.

2 –سورة البقرة، الآيات 33–30.

3 – د. يوسف يعقوب السلطان، الإسلام وتنمية العلم والبحث العلمي، مقال منشور في موقع www.islamset.com.

4 – محمد الوفائي، مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية (القاهرة: الأنجلو المصرية، 1989) ص 15.

5 – منير البعلبكي، قاموس المورد، بيروت، دار العلم للملايين، 1994م، ص 963.

6 – د. حسن علة محمد، الإعلام الإسلامي مفاهيم ونظريات، ملحق مع مجلة الأزهر، (عدد شعبان 1418هـ) ص 23.

7 – د. رضا عبد الواجد أمين (2007) الصحافة الإلكترونية، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ص 98.

د. محمد نعمان جلال
خبير في الشؤون الصينية
والاستراتيجية الدولية

تفاعل القوتين الناعمة والخشنة بين الصين وأمريكا

عندما أعلنت الصين خلال يناير 2010 أن معدل نمو الدخل الإجمالي المحلي لعام 2009 بلغ 8,7% وإن هذا أعلى من التوقعات التي كانت الصين تسعى إليها، وأن هذا دليل على استجابة الاقتصاد الصيني للمحفزات التي قدمتها السلطات الصينية. وهنا ثارت ثائرة القوى الدولية المختلفة وأجهزة الإعلام التي عبرت عن ذلك بطرح مقولة إن الصين أصبحت تحتل المكانة الثانية في الاقتصاد العالمي، وإنها سبقت بذلك اليابان، وإنه من المتوقع أن تسبق الولايات المتحدة وتحتل المكانة الأولى خلال خمسة عشر عاماً، أي بحلول عام 2025 أو على الأكثر عام 2027.

وقد تصدى كثير من الخبراء في مجالات السياسة والاقتصاد بالتحليل لهذه المعلومات ودلالاتها في المسيرة العالمية. وأعطت محطة الإذاعة البريطانية اهتماماً كبيراً لهذا الموضوع وأجرت عدّة لقاءات إذاعية مع عدد من الخبراء، ومعظمهم أكد خطورة معدل النمو الصيني وأن الصين سوف تسبق الولايات المتحدة.

وعندما طُرح هذا السؤال على كدارس للشؤون الصينية أخذت موقفاً مختلفاً رغم إعجابي بنمو الصين وتخصصي في القضايا الصينية منذ أكثر من خمسين عاماً(أي منذ عام 1965).

ولقد بنيتُ وجهة نظري على أن الصين لا يتوقع أن تصلَ إلى مستوى الدخل الأمريكي قبل خمسين عاماً من الآن على الأقل بافتراض أن كل المعطيات والمتغيرات بقيت على ما هي عليه، وأن المعروف من دراسة العلاقات الدولية خلال القرون بل والعقود الماضية أن المفاجآت كثيرة ولن تبقى الأوضاع على حالهابالنسبة إلى أي دولة مهما كانت.

وضربت مثالين على التغيرات المفاجئة والخطيرة التي لم يتوقعها أحد.أولها:تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار الكتلة الاشتراكية والتحول إلى الرأسمالية بعد سبعين عاماً تقريباً من الثورة البلشفية. وثانيها: الحرب الكونية على الإرهاب التي قادتها الولايات المتحدة وأقنعت بها العالم ضد ما سمته «الإرهاب الإسلامي»، ويمكن أيضاً أن نشير إلى الثورة الإسلامية الخمينية في إيران وما أحدثته من تحولات في منطقة الشرق الأوسط، بل يمكن أن نذكر مبادرة الرئيس المصري محمد أنور السادات بزيارة القدس وإقامة السلام المصري الإسرائيلي الذي رغم كل الاعتراضات العنترية من دول الرفض التي لم تفعل شيئاً، بل أعلن -بعد ذلك ببضع سنين-الرافضون والمؤيدونفي القمة العربية ببيروت عام 2002 أن خيار السلام خيار إستراتيجيولم يطلق أحد قذيفة على إسرائيل طوال أكثر من ثلاثين عاماً سوى أعمال فدائية أو مقاومة محدودة رغم الضجيج الإعلامي؛لأنها لم تمس جوهر الدولة الإسرائيلية، بل دمرت البنية التحتية للدول المجاورة وللأراضي الفلسطينية.

> الاقتصاد الصيني الآن يمثل نصف الاقتصاد الأمريكي

وعودة إلى الصين فإنني أعتقد أن ثمة مبالغة في طرح مقولة أن تصبح الصين القوة الأولى في العالم خلال خمسة عشر عاماً أو عشرين عاماً ومن الأدلة على ذلك:

أولاً: إن الاقتصاد الصيني الآن يمثل نصف الاقتصاد الأمريكي كما أن حجم تجارة الصين رغم ضخامتها تمثل نسبة محدودة في حجم التجارة العالمية.

ثانياً:إن الاقتصاد الغربي أياقتصاد أمريكا وأوروبا واليابان يمثل حوالي ثلثي

الاقتصاد العالمي أو ثلاثة أرباع الاقتصاد العالمي، وهو يعتبر وحدة إطارية متكاملة، لأنه ينتمي إلى نفس الفلسفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولا يمكن أن تتغلب الصين على ذلك خلال ربع قرن وفقاً للمعطيات الراهنة.

ثالثاً: إن الاقتصاد الصيني يعتمد في جزء كبير منه على الاقتصاد الغربي بما في ذلك الاقتصاد الأمريكي سواء في الحصول على الأسواق أو الأموال للاستثمار وتبادل السلع والخدمات.

رابعاً: إن الاقتصاد الأمريكي تحول إلى اقتصاد المعرفة، في حين أن الاقتصاد الصيني ما زال في مرحلة اقتصاد الصناعة والثورة الصناعية، وأن ما يُعرف بصناعة المعرفة في الصين ما زالت في بداياتها سواء في التكنولوجيا الصلبة لصناعة الحاسبات العملاقة وفوق العملاقة أو حتى في مجال صناعة البرمجيات التي تعتبر الهندسابقةالصين فيه.

خامساً: إن الصين متقدمة في المدن الكبرى وفي المناطق الشرقية، بينما ما زالت أقاليم الداخل الصيني والشمال الصيني أكثر تخلفاً، وأن الصين نفسها تعترف بذلك، وهذا يعني أن الصين كما هو معروف تعتمد التنمية غير المتوازنة، ولكنمن الناحيةالاقتصادية هذه تحدث تناقضات ضخمة، ولا بد أن تعود الصين بعد مرحلة إلى منهج النمو المتوازن لكي تحد من التناقضات التي ظهرت بين أقاليمها ومدنها وأفرادها وأدت إلى ظهور طبقة جديدة من المليونيرات.

سادساً: إن الصين تعتمد في كثير من صناعاتها على الشركات المتعددة الجنسيات والتي في معظمها شركات أمريكية أو أوروبية أو يابانية، وما تزال الصين في مرحلة أدنىبالنسبةإلى معظم هذه الشركات، والدور

الخطير الذي تلعبه تلك الشركات تجلى في الأزمة المالية في آسيا، وبخاصة دول الآسيان عام 1997، وكذلك في الأزمة المالية عام 2008.

سابعاً: إن الولايات المتحدة تحتل المكانة الأولى في صناعة المعرفة وفي إجمالي الإنتاج المحلي والثانية في حجم الصادراتوتحتل الصين المكانة الأولىفي حجم الواردات وفي عدد الشركات المتعددة الجنسيات وفي عدد العلماء في العديد من فروع المعرفة وفي عدد العلماء الحائزين جوائز نوبل وفي التكنولوجيا العسكرية وتكنولوجيا علوم الفضاء.

وباختصار، فإن النمو الأمريكي والاقتصاد الأمريكي يعتمد على قاعدة صلبة وقوية، ولا يتوقع أن تتراجع هذه القاعدة خلالالخمسين عاماً، أي حتى 2050 على الأقل.

ثامناً:إن العقل الأمريكي وفلسفة النظام الأمريكي تسعى لاجتذاب العالم إليها بدءاً من العلماء والباحثين والمفكرين وهي الظاهرة التي أطلق عليها نزيف العقول مصطلح Brain Drain من الدول المتقدمة في أوروبا واليابان ومن الدول النامية. واجتذاب الأموال بما في ذلك الأموال الصينية المستثمرة في أذون الخزانة الأمريكية والاستثمارات وكذلك المصارف الكبرى رغم الأزمة المالية التي انفجرت عام 2008.

لكل تلك الاعتبارات فإن الصين مع تقدمها لن تسبق الاقتصاد الأمريكي بافتراض بقاء المعطيات على حالها.

ولكن التساؤل إذا افترضنا أن هذا التحليل صحيحومنطقيلماذا الضجة الإعلامية الغربية؟ وهنا أقول إنه في تقديري أن ذلك له دوافعه ومبرراته التي يتمثل بعضها في النقاط التالية:

1- تخويف العالم من التنين الصيني الصاعد الذي يسعى لافتراس العالم من مواد خام إلى مواد طاقة إلى أسواق إلى أموال واستثمارات. إن السياسة الخاطئة التي قام بها الزعيم السوفيتي جوربا تشوف وإطلاقه ما سماه «سياسة البروسترويكا» التي أدت إلى تفككه، ولعب فيها الزعيم السوفيتي يلتسين دوراً بارزاً في إكمال القضاء على القوة العظمى الموازية للقوة الأمريكية من الناحيتين هما: التكنولوجيا العسكرية والدور السياسي، ولكن القوة السوفيتية آنذاك لم تكن نداً حقيقيا للقوة الأمريكية، لا من حيث القوة الاقتصادية ولا القوة المعرفية ولا الانصهار الديمغرافي، فضلاً عن النموذج السياسي الديمقراطي الذي سمح باستيعاب القوى الناشئة والجديدة في المجتمع، بدلاً من كبت الصراعات الذي أدى إلى انفجارها في الاتحاد السوفيتي.

> الصين متقدمة في المدن الكبرى بينما الداخل والشمال الصيني أكثر تخلفاً

الصين بدورها اختطت نموذجاً مختلفاً،

فهي سمحت بعملية نمو اقتصادي سريع ذهب جزء مهم من عائده إلى جموع الشعب، مما أدى إلى رفع مستوى معيشته، وتحولت القوة الاقتصادية الصينية إلى عملاق في طور النمو ويقف على قدمين ثابتتين.

ومن ناحية ثانية رفض الدخول في سباق سياسي من أجل إثبات قوته على الساحة الدولية وأصر على ثلاثة توجهات:

الأول:النمو السلمي والصعود السلمي Peaceful Rise والتأكيد المستمر على انتمائه إلى الدول النامية استناداً إلى مستوى الدخل الفردي وليس إجمالي الدخل أو الناتج المحلي.

والثاني: الابتعاد عن الصراعات الاقليمية أو الدولية والحرص على تسوية خلافاته بالطرق السلمية أو الاحتماء بمبدأ الصبر الصيني الطويل النفس للخلافات ذات البعد الوطني، كما هو الحال مع هونج كونجومكاو من خلال سياسة دولة واحدة ونظامين،أو مع تايوان من خلال عدم تكرار أخطاء الخمسينات بالتهديد بغزو عسكري،أو حتى إرهابها بإطلاق عدّة مدافع تجاهها، بل الدخول معها في علاقات اقتصادية وتجارية واستثمارات وسياحة ومن ثم سعى العملاق الصيني للحصول على تكنولوجيا متطورة غير متاحة له وأصر على العمل السلمي والسياسي لإعادة تايوان وتوحيدها مجدداً مع الدولة الأم بل وطرح بعض المفكرين الصينيين فكرة دولة واحدة وثلاثة أنظمة بمعنىاحتمال منح تايوان حرية أكبر وحقوق أكثر بالنسبة إلى قوتها العسكرية والحفاظ عليها في إطار الدولة الواحدة،وهي العملاق الصيني يدرك البعد الإستراتيجي الحساس لوضع تايوان وطموحاتها في الحفاظ على استقلالية أكبر في ظل نظامها السياسي وفي ظل ارتباطاتها الدولية مع الولايات المتحدة والاقليمية مع اليابان.

بعبارة أخرى أدركت الصين وقرأت بدقة الموقف السياسي والعسكري والاقتصادي الدولي، وكما هو معروف أن الصين دولة عقلانية تتخذ قراراتها بعقلانية وبعد دراسة متأنية في ضوء المعطيات الدولية والإقليمية والمحلية.

أما التوجه الثالث: فهو السعي لبناء علاقات وشراكات إستراتيجية Strategic Partnership مع الدول النامية كما هو الحال في إنشاء المنتدى الصيني الأفريقي والمنتدى الصيني العربي والمنتدى الصيني اللاتيني،بل والدخول في شراكاتإستراتيجية مع الدول الأوروبية والاتحاد الروسي للحصول على التكنولوجيا المتقدمة والاستثمارات والأسواق، في حين أن الشراكة مع تجمعات الدول النامية في أفريقيا والعالم العربي وأمريكا اللاتينية استهدفت الحصول على المواد الخام والطاقة والأسواق والاستثمارات على أساس مبدأ تبادل المنافع وإقامة مصالح مشتركة، هذا فضلاً عن الشراكات الإستراتيجية مع دول فرادى كما هو الحال مع إيران ومع الهند منافستها القوية على الساحة الآسيوية، بل ومع اليابان رغم اختلاف التوجهات السياسية والإستراتيجية.

ولكن السؤال: هل هذا يعني أن الصين ليست معرضة للخطر وأنها محصنة ضده؟ هنا نقول إنه لا توجد دولة آمنة تماماً، بما في ذلك الولايات المتحدة نفسها، نتيجة قرارات تبدو للوهلة الأولى خاطئة ولكن ربما تتبين أهدافها البعيدة المدى بعد فترة، وهي قرارات غزو أفغانستان وغزو العراق، وإثارة التوتر في منطقة الشرق الأوسط،والحفاظ على علاقات إستراتيجية قوية مع إسرائيل تحت تأثير عوامل عدّة، في مقدمتها قوة اللوبي اليهودي العالمي،وبخاصة اللوبي اليهودي الأمريكي، وتجميدأو إضعاف عوامل القوة العربية، سواء سلاح النفط والغاز أو الموقع الإستراتيجي العربي على المتوسط والخليج العربي والمحيط الهندي وتواجدأمريكي إستراتيجي قوي في تلك المناطق أو إضعاف الإرادة السياسية العربية في توجهها نحو الوحدة أو حتى التوحد واستخدام مفاهيم التطرف العربي والإسلامي كأداة لشق الصفوف العربية وتقسيمها إلى متشددة ومعتدلة.

> هل الصين ليست معرضة للخطر وأنها محصنة ضده؟

باختصار، التدخل في التطور السياسي أيضا لكل دولة عربية حتى تظل القوة العربية مجمدة ومجزأة وبلا فاعلية حقيقيةوالقيام بنفس الدور تجاهالقوة الإيرانية الصاعدة بالسعي لحشد دولي وإقليمي ضدها والتأثير على ساحتها الداخلية من خلال الإذاعات الموجهة وغيرها من أدوات العمل الدبلوماسي والإعلامي والثقافي، بما في ذلك دفع قوى إيرانية نحو اتخاذ مواقف متشددة ومتطرفة للحيلولة دون التطور السلمي الداخلي أو بناء علاقات ثقة حقيقية مع القوى الإقليمية وعملية حفز التطرف الإيراني القومي والديني ودفعها إلى توسيع دائرة تورطها بنشر فكرها الديني ومذهبها الطائفي وتبنيها مواقف سياسية متطرفة تبدو قطعة من الشكولاتة ولكنها مسمومة، بهدف القضاءعليها بتوسيع

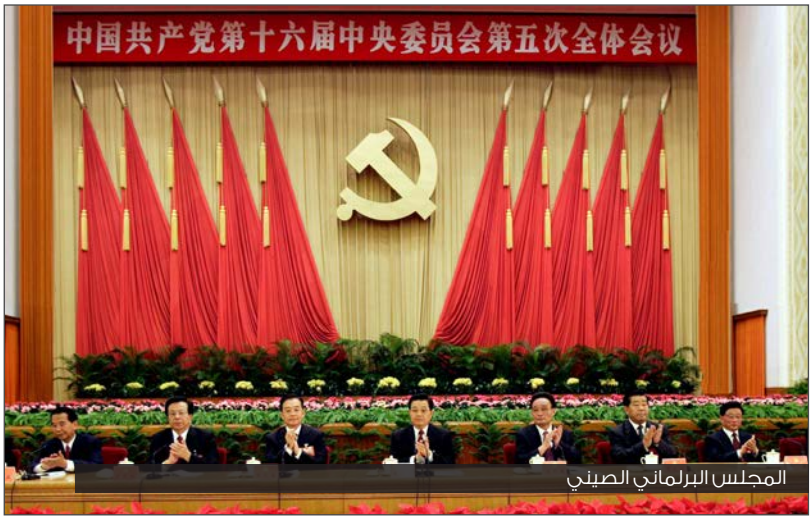

المجلس البرلماني الصيني

دائرة العمل أمامها من خلال الإغراء بالقوة والريادة والقيادة وهي قوة في جزء كبير منها تؤدي إلى استنزاف الموارد، ولذلك فإن إيران وهي تطور قوتها العسكرية وتخصص لها موارد ضخمة تعاني من ضعف داخلي في بنيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ومن الصراعات التي تغلي تحت السطح هكذا على غرار النمط الذي استخدم مع الاتحاد السوفيتي ولكنه لم ينجح مع الصين.

أما بالنسبة إلى الصين فيتم استخدام ثلاثة أساليب رئيسية لإضعافها،الأول: هو إثارة الفتن الداخلية، سواء في التبت أو سينكيانج. وهي فتن لها جذورها التاريخية والعرقية والدينية وليس من السهل التعامل معها لوجود خلافات عميقة بين التبت أوسينكيانج وبين الأغلبية الصينية من قومية الهان، هذه الخلافات لا يمكن حلها بالقوة العسكرية أو أجهزة الأمن أو بخلخلة السكان، بل إن هذا في تقديرنا هو الأسلوب الذي يعمق الخلافات على المدى البعيد، ولكن الأسلوب الأمثل هو في عملية دمجها اقتصادياً واجتماعياً مع الدولة الأم وتقديم تنازلات حقيقية تشعر التبت وسينكيانج بأن من مصلحتها البقاء مع الصين وتحول دون زيادة قوة العناصر المتشددة في هاتين الولايتين.

الثاني: إثارة الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية نتيجة المؤثرات المتفاوتة لعملية التنمية الاقتصادية غير المتوازنة والتي أدت إلى بروز طبقة مليونيرات جدد وتفاوت كبير في الدخول بين المدن الصناعية الكبرى وبين المناطق الداخلية، وتسعى الصينللحد من هذا التفاوت، ولكن ما زال الطريق طويلاً أمامها، ويحتاج إلى عمل أكثر مما هو قائم الآن.

أما التفاوت الاجتماعي فيظهر من خلال السياسات الجديدة في مجالات التعليم والإسكان بوجه خاص وتركها لسيطرة القطاع

الخاص والنشاط الخاص. بعبارة أخرى رفع مظلة التأمين الاجتماعي للسكن والتعليم، وسوف يترتب على ذلك مشاكل كثيرة للطبقة المتوسطة الناشئة وللطبقة الفقيرة، وقد أصبحت الصين اليوم مجتمعاً عادت فيه الطبقات للظهور مجدداً بعد أن كان قد تم القضاء عليها في ظل النظام الشيوعي منذ عام 1949 حتى منتصف السبعينيات من القرن العشرين.

الثالث:ظهور نخبة جديدة في الحزب الشيوعي الصيني ترتبط مصالحها وفكرها وتوجهاتها مع الولايات المتحدة بوجه خاص والدول الغربية بوجه عام، سواء كانت هذه المصالح اقتصادية وتجارية أو مصالح ثقافية أو حتى مصالح شخصية.

هذه النخبة هي التي تعول عليها الولايات المتحدة في إحداث التغير السياسي في الصين من الاشتراكية بخصائص صينية (الرأسمالية على النمط الصيني) إلى رأسمالية حقيقية على النمط الغربي وليبرالية سياسية على نفس النمط، وبذلك تكتمل عملية تحول الصين اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، ويبقى تحولها عسكرياً في مرحلة لاحقة على غرار ما حدث مع دول أوروبا الشرقية مع إدراكنا لوجود عدّة فوارق واختلافات، لأن الصين عملاق من حيث المساحة والسكانوله تراث تاريخي أكثر عراقة من الاتحاد السوفيتي أو من دول أوروبا الشرقية،ولديه نزعة وطنية قوية في أعماق الشعب الصيني،ولم تهزمّ الصين مثلما هزمتاليابان، ومن ثم يفرض عليها تغيير نظامها على غرار ما حدث في اليابان عام1945 بالإصلاحات التي قادها الجنرال ماك آرثر وإدخال دستور جديد ونظام سياسي جديد.نقول إن الصين لم تواجه مثل تلك الحالات، أي حالة اليابان، وكانت أكثر ذكاء من القيادة السوفيتية في تركيزها في عملية الانفتاح على الاقتصادالعالمي قبل الانفتاح السياسي وفي حرصها على الارتباط مع الدول النامية على النحو السابق إيضاحه.

> "
> إثارة الصين ودفعها إلى مزيد من التسلح يؤثر في تخصيصها للموارد المتاحة للتنمية الاقتصادية

ولكن مع كل تلك التحفظات فإن تفاعل أدوات العمل الدولي في التعامل بين الصين والولايات المتحدة لن يتوقف، لأن ذلك من طبائع الأمور. ومن هنا يمكن فهم الظواهر السائدة على ساحة العلاقات الأمريكية الصينية مثل بيع الولايات أسلحة لتايوانبـ4 مليارات دولار وهي في جوهرها أسلحة دفاعية ولن تؤثر في التوازن الإستراتيجي بين الصين وتايوان ولكنها تخدم ثلاثة أهداف:

أولها:إثارة الصين ودفعها إلى مزيد من التسلح، وهو ما يؤثر في تخصيصها للموارد المتاحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وثانيها: إثارة العداء والخلاف الكامن بين تايوان والصين بسبب اختلاف أنظمتهما السياسية والاقتصادية.

وثالثها: إرضاء الرأسمالية الأمريكية واللوبي المرتبط بصناعة السلاح الأمريكي والسعي للحصول على سوق مبيعات لهذه الأسلحة تساعد التطور الصناعي الداخلي سواء في مجال السوق الاقتصادي والتنمية الاقتصادية واجتذاب رؤوس أموال واستثمارات أو في مجال تطوير صناعة السلاح الأمريكية.

والقيادة الصينية الراهنة بزعامة الرئيس الصيني شيجينبينج مدركة لكل هذه الأوضاع، ولهذا فإن مؤتمر الحزب الشيوعي الصيني التاسع عشر دعم توجه الرئيس شي في محاربة الفساد وفي سياسة أشبه بالتقشف للأجهزة الحزبية والإدارية للحد من اندفاع بعضها في الإنفاق البذخي والمظهري، وهذا في حد ذاته دليل على إدراك الصين وقيادتها الحالية مخاطر الانسياق غير العقلاني في الإنفاق غير المنتج وأيضاً مخاطر الفساد في مؤسسات الدولة والحزب وقيادتها.

2- إثارة مشكلة جوجل والضوابط التي تضعها الصين على أنشطته في داخل الصين، لأن هذا أحد أدوات التأثير الناعمة في إحداث التطور الداخلي السياسي والإعلامي في الصين والتي هي حريصة على ضبط إيقاع هذا التطور وعدم السماح له بالانفلات على غرار ما حدث في دول أوروبا الشرقية أو ما هو حادث في إيران حالياً أو ما هو حادث بصورة مختلفة في دول الشرق الأوسط وبخاصة المنطقة العربية مع اختلاف في الأساليب والأهداف.

3- إثارة مشكلة سعر العملة الصينية وإنها مُقيّمة بأقل من قيمتها الحقيقية ولابد من رفع سعرها للحد من التنافس في الأسواق، لأنه لا يستند -وفقاً لوجهة النظر الغربية- إلى قواعد المنافسة الصحيحة ولاقواعد التجارة الدولية كما وضعتها المنظمة العالمية للتجارة،وبالطبع رفع سعر العملة سوف يترتب عليه ارتفاع أسعار السلع الصينية، ومن ثم تراجع الفائض الصيني النقدي من العملات الأجنبية، وسيؤثر ذلك على معدل نمو الصين لزيادة الواردات عن الصادرات وزيادة التضخم الداخلي في الصين ومن ثم معاناة الشعب وهكذا.

4- إعادةتحريك المشاكل الداخلية، وخاصة بإجراء لقاءات مع الزعيم البوذي الصيني للتبت الدالاي لاما، وهو ما يثير حساسية الصين.

5- إضعاف القوى المجاورة للصين، وعلى وجه الخصوص السعي لإضعاف الانفتاح على كوريا الشمالية على سبيل المثال.

وفي مقابل التحركات الأمريكية اتخذت الصين موقفاً أكثر تشدداً من مواقفها السابقة مقابلالتهديد بمقاطعة الشركات الأمريكية التي تصدر أسلحة لتايوان والتهديد بوقف شراء أذونات الخزانة الأمريكية، فضلاً عن رفض التعاون مع الولايات المتحدة في مسعاها لفرض عقوبات جديدة ضد إيران، بل تسعى الصين لتطوير مزيد من العلاقات مع إيران في مجالات النفط والغاز والاستثمار في البنية التحتية، وتتلاقى مصالح الصين وإيران في هذه المرحلة.

ولكن المنهج الصيني في التعامل مع إيران هو صورة مكررة لمنهج تعاملها مع النظام العراقي في عهد صدام حسين، إذ يقوم على السعي للحصول على المصالح متحدياً البعد الإستراتيجي في العلاقات الأمريكية الصينية، وبالطبع فإنه نتيجة لذلك تتوقف على عدد من الاعتبارات ومنها مدى حرص الصين والولايات المتحدة على تحقيق تفاهم بينهما بالنسبة إلى المصالح الأساسية لكل منهاومدى حرص الولايات المتحدة على انتهاج سياسة متعددة الأطراف كما عبر عن ذلك الرئيس أوباما أو سياسة أشبه بالعزلة النابعة من الأنانية كما هي في سياسة الرئيس دونالد ترامب بافتعال خلافات حتى مع أقرب حلفائه مثل أوروبا واليابان وممارسة الضغوط والابتزاز على دول صديقة مثل دول الخليج والاندفاع نحو دعم مفهوم إسرائيل التاريخية والاعتراف بالقدس كعاصمة لها، وهذا يمثل استفزازاً للدول العربية والإسلامية وإضعافاً لنظمها وقياداتها في مواجهة شعوبها الساعية لاستعادة أمجادها التاريخية ولكنها تواجه القوى الكبرى، ما يجعلها تعيش مرحلة من الإحباط.

ولم تترددالولايات المتحدة فيالقيام بالأعمال الانفرادية على غرار ما قام به الرئيس السابق جورج دبليوبوش في غزو العراق ومدى تأثير العوامل الداخلية في إيران والعوامل الإقليمية في الشرق الأوسط على العلاقات الصينية الإيرانية.

ولا مراء في أن القوى الكبرى تلعب أوراقها بذكاء وحنكة فلا تندفع بقوة نحو اتخاذ قرارانفرادي، ولكنها تعتمد على مراكز الأبحاث وقيامها برسم ووضع تصورات وسيناريوهات متعددة ثم تقوم القيادة عند اتخاذها القرار بالاختيار بين تلك البدائل في ضوء أولوياتها الداخلية

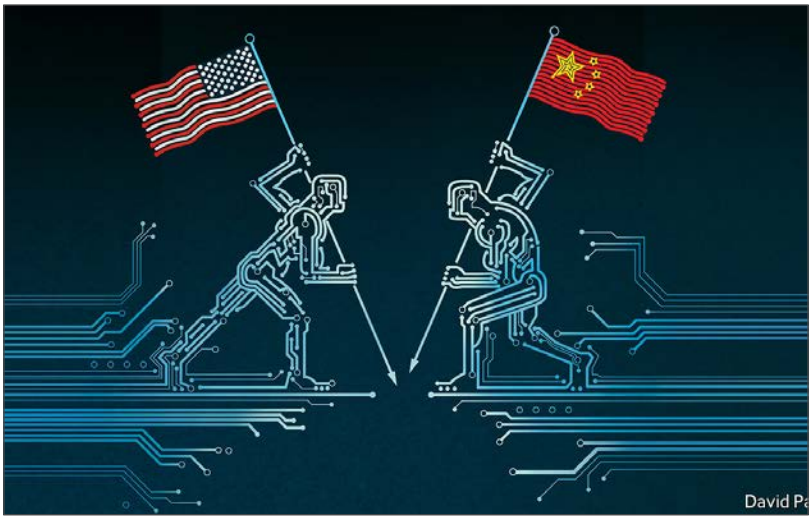

والدولية والاقليمية وليس هناك في السياسة الدولية منهج أبيض وأسود وإنما ألوان الطيف متعددة،حتى وإن استخدمت بعض القوى الدولية في الإطار الدعائي لسياستها الخارجية منهج الثنائية كما أطلقه الرئيس بوش بأن كل دولة إما مع أمريكا ضد الإرهاب أو مع الإرهاب ضد أمريكا، وهو الشعار الذيأطلقه وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جون فوستر دالاس في الخمسينيات من القرن العشرين:»من ليس معنا فهو مع عدونا»، هذه الثنائيات في حقيقتها هي أداة في الدعاية السياسية للتأثير على الدول الضعيفة والمترددة وليست أساسا لقرار سياسي دولي حقيقي،ومن يتابع العلاقات الأمريكية الصينية وتفاعلاتها ما بين مد وجزر وما بين أدوات القوة الناعمة والقوة شبه الخشنة أو ما سماها أحد الباحثين الأتراك في ندوة مراكز الفكر للدول الإسلامية التي عُقدت في إسطنبول في 28 يناير2006بأنها أدوات القوة الذكية التي ليست بالناعمة ولا بالخشنة، وإنما تستخدم الاثنين بقدر وتوازن. ولعل العلاقات التركية الإسرائيلية نموذج لهذا الاستخدام للقوة الذكية، فهي تبيع شعارات للفلسطينيين والقوى العربية غير الواعية التي ما تزال تعيش عصر الشعارات في منتصف القرن العشرين ولا تعمل بإنجازات حقيقية، ومن خلالها تتاجر دول مثل إيران وتركيا في الحماس العربي لتدمير المنطقة من الداخل.

وتركيا ذات علاقة استراتيجية وثيقة مع إسرائيل،كما أن إيران لها علاقات سرية مع إسرائيل، كما حدث في صفقات السلاح أثناء الحرب الإيرانية العراقية، فالمصالح تختلف عن الشعارات، وهي لا تتغير بسهولة، بل هي ثابتة مهما رفعت الدول من شعارات،وهذا مجال تحليل آخر.

والخلاصة أن التفاعل الصيني الأمريكي يعبر عن حقائق رئيسية في مقدمتها صعود القوتين واعتماد قراراتهما على مراكز الأبحاث وتقديراتها وسيناريوهاتها المتعددة. وأيضاً التغيرات الجارية في العالم، وهي مفاجأة خاصة في الاقتصاد والتنمية والتغيرات الاجتماعية، ناهيك عن الاستخبارات السرية في تعاملاتها، ولعل تدمير الاتحاد السوفيتي السابق نموذج واضح، وها هو الرئيس فلاديمير بوتين يسعى لاستعادة قوة روسيا ونفوذها التاريخي وسعيها نحو البحار الدافئة، والأزمة في سوريا وتدخلات قوىدولية وإقليمية خير دليل على الدور الخطير الذي تلعبه أجهزة الاستخبارات العالمية وصراعاتها السرية من أجل مصالح دولها وتدمير الدول الأخرى مهما كانت الكوارث على تلك الدول وشعوبها.

ولقد تنبأ ثعلب السياسة الأمريكية والدولية البروفيسور هنري كيسنجر في حديث صحفي نُشر منذحواليعامينبأن حربا عالمية سوف تقوم في الشرق الاوسط وتدمره ماعدا دولتينلم يذكرهما.

ولكن رغم كل التخطيط الاستراتيجي لهذه الدولة أو تلك فإن ثمة مفاجآت يمكن أن تحدثفي العالم، سواء لاعتبارات المناخ أو اعتبارات الخطأ البشري، ولا يُستبعدُ سقوط عمالقة وظهور عمالقة جدد، ودراسة تاريخ الحضارات والدول في النشأة والازدهار ثم التراجع والانكسار هي من حقائق التاريخ. والحضارة الصينية العريقة بتراثها وفلسفتها لن تنهار مهما لعب خصومها من أجل تدميرها، كما أن الحضارة الأمريكية الراهنة لن تنهار مهما تعرضت لهزات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، فما زالت لم تصل إلى قمة الغطرسة التي تحدث عنها السناتور ورئيس لجنة العلاقات الخارجية وليم فوالبريت في كتابه المشهور غطرسة القوة Arrogance Of Power وهي القمة التي قد تدفعها للانهيار كما كتب عن ذلك صاحب فلسفة صعود وانهيار الدول عالم التاريخبول كينديمحللا انهيار العديد من القوى العظمى عبر التاريخ.

> وتركيا ذات علاقة استراتيجية وثيقة مع إسرائيل،كما أن إيران لها علاقات سرية مع إسرائيل

نقول إن تفاعل القوتين الخشنة والناعمة هو تفاعل يطلق عليه علماء الاستراتيجية لقب القوة الذكية Smart Powerالتي تجمع القوتين معا في تعاملها وتفاعلها مع بعضها ومع باقي دول العالم.

هل تدرك المنطقة العربية كل هذه التغيرات والصراعات المحتملة أم تظل تعيش عصر ملوك الطوائف في الأندلس ثم تتباكى على القدس وتاريخها والأندلس وعظمتها والنفط وآثاره التي تتجه نحو الزوال بابتكار سلع جديدة كوقود بعد انتهاء عصر النفط.

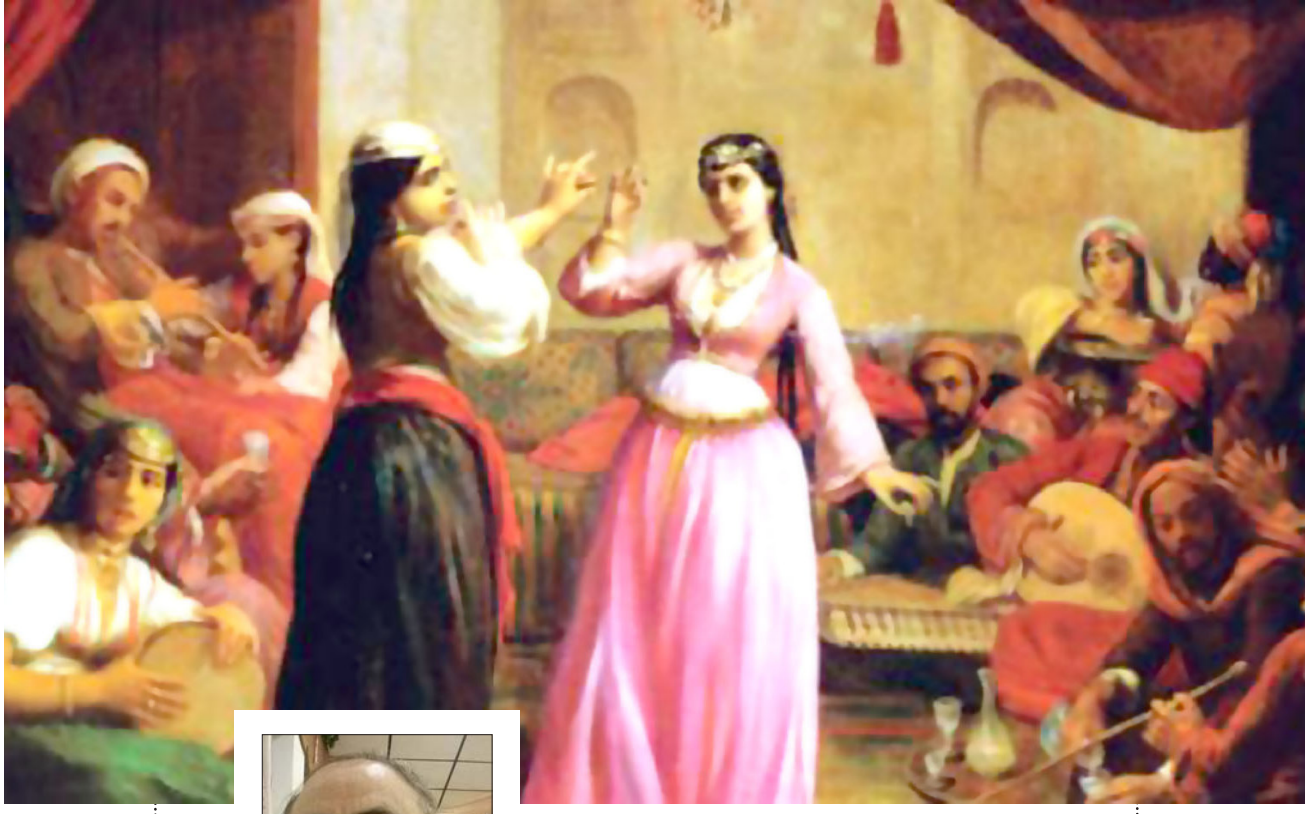

أ.د. محمد عبد الرحمن يونس
عميد كلية اللغة العربية بجامعة ابن رشد في هولندا
نائب رئيس جامعة ابن رشد للشؤون الأكاديمية ـ التعليم الإلكتروني

سلطة المكر والحيلة والمكيدة في مدن ألف ليلة وليلة

من خلال قراءة حكايات ألف ليلة وليلة، وبخاصة تلك الحكايات التي تدور في بغداد والقاهرة ودمشق والبصرة والكوفة والإسكندرية، وهي من أهم المدن التي يدور السرد الحكائي فيها محتضنا سكانها وعاداتهم وتقاليدهم، وأنماط تفكيرهم وحياتهم، يمكن القول إن التقاليد والموروثات في هذه المدن تكاد تكون متشابهة، وقد أسهمت بدورها في تشكيل صور مدن الليالي التي تتقارب كثيرا في تفكير سكانها، وسلوكهم الاجتماعي العام، وقيمهم المعرفية والثقافية السائدة فيها. ومن هنا، فإن سلوك السلطة العام في مدن الهند وبلاد فارس، التي تشكلت نواة الحكايات فيها.

لا يختلف كثيرا عن ذلك السلوك في المدن العربية الآنفة الذكر، وإن اختلف فإن الاختلاف جد طفيف، ويشكل حالة خاصة، لا يقاس عليها. وتكاد تتفق مدن ألف ليلة وليلة في طرق الحيل والدسائس والمكايد، ومقوّماتها، التي يحيكها شخوص الليالي، رجالا ونساء، وتتشابه هذه المدن أيضا، في فضاءاتها التي تشكل عوالمها السرية والحميمة، وفي خيالها الشعبي الجامح وأساطيرها وميثولوجياتها، وطبيعة العلاقة القائمة بين سلاطينها وبين أفراد شعوبها.

إن الموروثات الشعبية والثقافية التي ركّز عليها السرد الحكائي تحدد معالم حكايات تتناصّ مع بعضها، تناصا جوهريا وأساسيا على مستوى الرؤية، ومستوى السرد والقص، ومستوى الترتيب الطبقي والاجتماعي، ومستوى علاقة الرجال بالنساء، والسلطة بالنساء، والسلطة بالمدينة بشكل عام، وهنا يمكن القول: (إنّ التشابه بين التصوّرات أو الأساطير أو غيرها من المأثورات الشعبية حاصل دون أن تكون بينها أية صلة تاريخية تذكر، فشعوب آسيا وأفريقيا والأسكيمو والأمريكيتين عندهم تقاليد متشابهة)[1]، وكذلك الشعوب العربية والإسلامية، والهندية والفارسية، والصينية، التي هي الشرائح العقائدية والاجتماعية لمدن ألف ليلة وليلة لها تقاليد تكون متشابهة، وإن لم تكن متشابهة على المستوى الجغرافي الحقيقي، فإنها متشابهة على المستوى التخيلي والحكائي في ألف ليلة وليلة.

إن شهرزاد في حكايات ألف ليلة وليلة، لم تكن قادرة على أن تنجو من بطش شهريار لولا اعتمادها على مدى تأثير سلطة الحكاية على شهريار، والتي تشكل في الآن نفسه حيلة من حيلها لترويضه، ومن خلال الحيلة استطاعت الدخول إلى قصره بوسيط مساعد، وهو أختها ـ دنيازاد ـ التي احتالت بدورها حتى تدخل قصر شهريار، وتؤمّن لأختها طريقا آمنا يحميها من القتل في ليلتها الأولى مع شهريار. وفي الليلة الثانية تطلب من أختها شهرزاد أن تحكي للملك حكاية عجائبية، وتحكي شهرزاد الحكاية ثم تقطعها في مواقف مؤثرة جدا، بحيث يظل شهريار مشدودا ومدهوشا وراغبا في أن يسمع بقية الحكاية، وبالتالي تنجو شهرزاد من فعل القتل، وهذه الحيلة حاكتها مع أختها دنيازاد، وبسلطة هذه الحيلة، وحيل غيرها استطاعت شهرزاد أن تنجو من مقصلة السيّاف والجلاد في آن.

وكرد فعل على بطش سلطات مدن ألف ليلة وليلة، السياسية والاجتماعية والدينية، ونظرا إلى قسوة الحياة وشظف العيش، وانتشار الفقر كظاهرة اجتماعية أصابت معظم شرائح ألف ليلة وليلة، باستثناء شريحة السلطة وأعوانها ومريديها، وطبقة التجار الكبار، نشأت الحيلة كرد فعل على مجمل بنيات الحياة الفاسدة التي غصت بها مدن ألف ليلة وليلة.

لقد كانت زوجة شهريار الأولى، والتي لم يذكر الراوي اسما لها، تحتال عليه كلما خرج من

(1) فريدريش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب، الطبعة الأولى، ص 34.

القصر، وتقيم طقوسها الخاصّة مع عبيدها، وكذلك زوجة أخيه (شاه زمان)، كانت تحتال لإشباع ملذّتها الجنسانية كلما غاب، وخرج للصيد.

وطالما أن منطق الحيلة هو منطق هروبي وانتهازي، وينطوي على مزيد من اللؤم والكذب، قبل أن يكون ذكاء اجتماعيا، ووعيا معرفيا، كما يدّعي بعض مروجي فنون الاحتيال والمكايد، فمن الطبيعي والمعقول أن تحاك خيوط الحيلة وترتيباتها وأبعادها في فضاءات مغلقة ومظلمة وسريّة، معتمدة بذلك أساليب معادية للقيم الأخلاقية والإنسانية. وبشكل عام فإن حيل الليالي تتزامن مع الدسيسة والمكر والمكيدة والخيانة والكذب، واقتناص الفرص وانشغال المحتال عليه، في همومه ومشاكله، وتعدّ النساء في حكايات الليالي الأكثر قدرة على حبك الحيلة اعتمادا على جماليات أجسادهن المثيرة، باختلاف تموضعهن الطبقي، فالمرأة الجميلة المثيرة قادرة على أن تحيك الحيلة بتقنيات كبيرة، سواء أكانت فقيرة أم غنية، أم من طبقة السلطة أو من طبقة العامة، وهناك حيل مهمة أخرى أسهمت في نمو السرد الحكائي في الليالي، وانتقاله من مدينة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى، وبالتالي إضافة وحدات حكائيّة صغرى جديدة إلى بنية الحكاية الأساسية الكبرى، وهي حيل الشطار الذين عشقوا الأسفار والمخاطر، وأتقنوا طرق الاحتيال، وتفننوا في تنويعها وتعقيدها وحبكها، بحيث يصعب على الضحية، المحتال عليها، اكتشافها، مهما كانت هذه الضحية على قدر من الذكاء. ولقد استفادت السلطة السياسية في مدن ألف ليلة وليلة من هؤلاء الشطار المحتالين، إذ قربتهم إليها، وأغدقت عليهم، ثمّ سخرتهم لخدمتها، وتنفيذ مآربها، وحمايتها من المعارضين، أو المنحرفين المارقين على وصاياها وقوانين حمايتها وأمنها، والذين لم ينضووا بعد تحت جناحها ووصايتها. ففي حكاية (أحمد الدنف مع الدليلة المحتالة وابنتها زينب النصابة)، وبعد أن يثبت علي الزيبق المصري براعته ومهاراته في حبك الحيلة، وينتصر على (زينب وأمها الدليلة) -أدهى نساء زمانها- وبعد أن يروّع بغداد في نصبه واحتياله، وتفوقه على كل نسائها ورجالها الماكرين، بمساعدة رجلين من أعوان السلطة السياسية وهما: حسن شومان وأحمد الدنف، وتشيع أخبار مقالبه وطرقه الاحتيالية، نجد أن الخليفة هارون الرشيد يكرمه إكراما لا نظير له، ويقرّبه، ويطلب منه أن يجلب جميع فتيانه المحتالين من مصر، ليعيشوا في بغداد، وينعموا بخيراتها وخيرات سلطاتها. تقول الحكاية: ((فقال الخليفة ياعلي هل لك صبيان فقال له أربعون صبيا ولكنهم في مصر فقال الخليفة أرسل إليهم ليجيئوا من مصر ثم قال الخليفة يا علي هل لك قاعة قال لا، فقال حسن قد وهبت له قاعتي بما فيها... فقال الخليفة قاعتك لك يا حسن، وأمر الخازندار أن يعطي المختص بالمعمار عشرة آلاف دينار ليبني له قاعة بأربع لواوين وأربعين مخدعا لصبيانه، وقال الخليفة ياعلي هل بقي لك حاجة فآمر لك بقضائها فقال يا ملك الزمان أن تكون سباقا على الدليلة المحتالة أن تزوجني بنتها زينب[2].

ويتمّ تزويج زينب -التي هي أكثر بنات جنسها دهاءً- من علي الزيبق، الذي انتصر عليها بحيلة ودهاء أذهلاها، فأعجبت به وعشقته، ولكي يعيش حالة من البذخ والملذات

الأسطورية فإنه يتزوج ثلاث نساء أخريات، وهن: بنت السقطي، والجارية، وقمر بنت اليهودي، هاته النسوة اللواتي سحرهنّ بحيله ودهائه العجيب، وهذه الزيجات ستساعده، فيما بعد، في أن يزداد مكانة لدى سلطة المركز، ويزداد ثراء ماليا أيضا، ومكافأة له على احتياله فإن الخليفة (رتّب له جامكية وجعل له سماطا في الغداء، وسماطا في العشاء، وجارية وعلوفة ومسموحا وشرع علي المصري في الفرح حتى كمل مدة ثلاثين يوما[3].

وفي هذه الحكاية تتجلّى الحيلة في أعلى درجات حبكتها وإتقانها، ومكرها الذي تحيكه دليلة المحتالة وابنتها (زينب النصابة) اللتان تؤرقان بغداد وسلطاتها، في أيام خلافة الخليفة هارون الرشيد، إذ لا تنام المدينة ليلة آمنة من شرّهما ودهائهما، إلى أن يأتي علي الزيبق، ويغلب دليلة بحيل أشد مهارة وخبثا، وتخطيطا وتقنية، فتستكين له، هي وابنتها زينب. ومن بعض حيل زينب النصّابة التي فاقت تصور علي الزيبق، كما يروي راوي الحكاية: (إن زينب بنت الدليلة المحتالة خرجت تشقّ في البلد فلما رآها الناس صاروا يتعشقون فيها وهي توعد وتخلف وتسمع وتسكت وسارت من سوق إلى سوق حتى رأت عليا المصري مقبلا عليها فزاحمته بكتفها والتفت وقالت: الله يحي أهل النظر.. فقال لها ما أحسن شكلك لمن أنت؟ فقالت للغندور الذي مثلك، فقال لها هل أنت متزوجة أو عازبة، فقالت متزوجة، فقال لها عندي أو عندك، فقالت أنا بنت تاجر وزوجي تاجر وعمري ما خرجت إلا في هذا اليوم وما ذاك إلاّ لأني طبخت طعاما وأردت أن آكل فما لقيت لي نفسا ولما رأيتك وقعت محبتك في قلبي فهل يمكن أن تقصد جبر قلبي وتأكل عندي لقمة؟ فقال لها من دُعِي فليجب، فمشت وتبعها من زقاق إلى زقاق... إلى أن وصلت إلى باب دار عليها بوّابة عالية، والضبّة مقفلة فقالت له افتح هذه الضبة فقال وأين مفتاحها، فقالت له ضاع، فقال لها كلّ من فتح ضبّة بغير مفتاح يكون مجرما وعلى الحاكم تأديبه، وأنا ما أعرف شيئا حتى أفتحها بلا مفتاح، فكشفت الإزار عن وجهها فنظرها نظرة أعقبته ألف حسرة، ثم أسبلت إزارها في الضبّة، وقرأت عليها أسماء موسى ففتحتها بلا مفتاح ودخلت فتبعها... ثم إنها خلعت الإزار وقعدت معه وقال في نفسه استوف ما قدرّه الله عليك ثمّ مال عليها ليأخذ قبلة من خدها فوضعت كفها على خدّها وقالت له ما صفاء إلا في الليل وأحضرت سفرة طعام ومدام فأكلا وشربا وقامت ملأت الإبريق من البئر وسكبت على يديه فغسلهما فبينما هما كذلك

> الحيلة في أعلى درجات حبكتها وإتقانها، ومكرها الذي تحيكه دليلة المحتالة وابنتها

(2) ألف ليلة وليلة، طبعة المطبعة الشعبية، بيروت، لبنان، دون تاريخ، المجلد الثالث، ص 298.

(3) نفسه، ص298.

وإذا بها دقّت على صدرها وقالت إنّ زوجي كان عنده خاتم من ياقوت مرهون على خمسمائة دينار فلبسته فجاء واسعا فضيقته بشمعة فلما أدليت الدلو سقط الخاتم في البئر. ولكن التفت إلى جهة الباب حتى أتعرّى وأنزل البئر لأجيء به. فقال لها عيب أن تنزلي وأنا موجود فما ينزل إلاّ أنا ثم خلع ثيابه وربط نفسه في السلبة وأدلته، وكان الماء فيه غزيرا ثمّ قالت له إنّ السلبة قد قصرت مني، ولكن فكّ نفسك وانزل، ففكّ ونزل في الماء وغطس فيه، وغطّاه الماء ولم يصل قرار البئر. وأمّا هي فإنّها لبست إزارها وأخذت ثيابه وراحت إلى أمّها... وقالت لها قد عرّيت علياً المصري وأوقعته في بئر الأمير حسن صاحب الدار وهيهات أن يخلص[4].

آثرت أن أطيل الاقتباس حتى تتضح الحيلة، التي هي نموذج يبدو متواضعا وبسيطا أمام حيل النساء الأخرى المعقدة في مدن ألف ليلة وليلة. وقلما نجد مدينة من مدن الليالي إلا ورفعت شعار النصب والاحتيال، وأتقنه رجالها ونساؤها، ومارسوه في جميع مجالات حياتهم المعيشية والاجتماعية والسياسية، وقد عمل أبطال الليالي رجالا ونساء على تكريس منطق الاحتيال والنصب، ودرّبوا أولادهم وجواريهم على قبول هذا المنطق والعمل به، غير أن النساء أكثر مهارة وكيدا في حبك الحيلة ونصبها، وإضفاء مظاهر الحب والعشق عليها، مقارنة بحيل الرجال. فحيل الرجال في الليالي -نستثني حيل علي الزيبق المصري- تبدو بسيطة ومن السهل اكتشافها، وفكّ حبالها قبل نجاحها، مقارنة بحيل النساء، إذ سرعان ما تقوم هاته النسوة بكشف حيل الرجال، وحبك حيل أكثر منها مهارة ودقة مستفيدات في الوقت نفسه من نقاط الخلل في حيل الرجال من جهة، وعاملات على توظيف قدراتهن الجنسية والجمالية ودورها في التأثير على غرائز الرجال وحاجاتهم الجنسانية، من جهة أخرى، وبالتالي لا يستطيع هؤلاء الرجال مقاومة إغراءات سلطة الجسد الأنثوي، وجماله.

ومن خلال تتبع حيل النساء في الليالي ومظاهرها وطرق نصبها، نلاحظ أن معظم المحتالات هن نساء جميلات على قدر كبير من الجمال الأنثوي الطاغي والإثارة الجمالية الجنسانية، فعندما ينظر إليهن الرجل سرعان ما يدهش من (جمالهن وقدهن واعتدالهن) على حد تعبير الراوي، فوجوههن تملأ المكان عبقا وبهاء ونورا، وعندما يراهن الرجال سرعان ما تعقبهم الآهات والحسرات، بمفردات شهرزاد، أو وفق خطاب قهرمانات القصور، أو العجائز الماكرات اللواتي أتقن الحيل، وتزيّن بلباس الدراويش، ومشايخ الطرق الصوفيّة، واللواتي اتخذن الصلاة وكثرة التسبيح (أداة تحفيزية[5] Motivation) تحفّز الضحية المحتال عليها للإقدام، ثم بعد ذلك تقود هذه بالضحية، وبسهولة، إلى فخ المصيدة. ففي حكاية ((نعمة ونعم)) يذكر الراوي أنّه لم يكن بالكوفة (جارية أحسن من نعم ولا أظرف منها، وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفت أنواع اللعب والآلات وبرعت في المغنى وآلات

(4) نفسه، ص -281 282

الملاهي حتى أنّها فاقت جميع أهل عصرها)[6].

وسرعان ما يكتشفها الحجّاج بن يوسف الثقفي، ويقرر أن يحتال عليها، ويخطفها، ثم يقدّمها إلى الخليفة عبدالملك بن مروان في دمشق تقرّبا منه، وضمانا لاستمرار ولايته على الكوفة، ونفوذه السياسي والسلطوي فيها، مستغلا ما سيكون لجسد (نعم) من سلطة وسحر وتأثير على فضاء قصر الخليفة، عندها يلجأ إلى قهرمانة ماكرة لتساعده في عملية الخطف هذه. وبينما كانت (نعم) تغني لزوجها (نعمة بن الربيع بن حاتم)، وهما في أطيب عيش، (وإذا بالحجاج في دار نيابته يقول لا بدّ أن أحتال على أخذ هذه الجارية التي اسمها نعم وأرسلها إلى أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان فإنّه لا يوجد مثلها ولا أطيب من غنائها، ثمّ استدعى بعجوز قهرمانة وقال لها امضي إلى دار ربيع واجتمعي بالجارية (نعم) وتسببي في أخذها لأنّه لا يوجد على وجه الأرض مثلها، فقبلت العجوز من الحجّاج ما قاله، ولما أصبحت لبست الصوف وحطّت في رقبتها سبحة عدد حبّاتها ألوف،... وأخذت في يدها عكازا وركوة يمانية وهي تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، ولم تزل في تسبيح وابتهال وقلبها ملآن بالمكر والاحتيال حتى وصلت إلى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر)[7]. وبدهاء القهرمانة ومكرها، وتقنّعها بملابس الزهاد والصوفيين تختطف الزوجة (نعم) من دار زوجها، وتأخذها إلى دار الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم يرسلها بدوره إلى قصر الخلافة بدمشق.

ونأخذ نموذجا آخر، وهو نموذج المرأة الشريرة المحتالة، فهو نموذج مهم في بناء الحكايات ونمو سردها، وتشعب أحداثها، وقلّما تخلو منه مدينة من مدن ألف ليلة وليلة، ففي حكاية بعنوان: (حكاية تتضمن مكر النساء وأنّ كيدهن عظيم)، تنصب الجارية فخا لابن الملك، وتراوده عن نفسه، فيرفض، ثم تخطط له حيلة، وتذهب إلى أبيه الملك قائلة: (إنّ سيدي راودني عن نفسي وأراد قتلي فمنعته، وهربت منه وما بقيت أرجع إلى القصر أبدا)[8].

ويظهر نموذج المرأة المحتالة الشريرة، أيضا، في حكاية (الرجل المسفار مع زوجته الحسناء)، ودرّته التي كانت تُعلم سيدها بما يجري في غيابه، ومضمون الحكاية أن الرجل كان كثير الأسفار لانشغاله بالتجارة، وكانت زوجته، حين سفره، تدخل إليها غلاما وسيما ليواصلها جسديا، طيلة غياب زوجها التاجر، وذات مرة، وبعد رجوعه من سفره، أخبرته الدرّة بخيانة زوجته له، فقرر أن يقتل زوجته، فما كان من الزوجة المحتالة إلاّ أن نصبت حيلة على زوجها، والدرّة، وأوغرت صدره ضد الدرّة، وجلعته يذبح درّته، وتتوالى القصة إلى أن يشاهد التاجر، ذات مرة، الغلام

(5) المصطلح يستخدم كثيرا في تحليلات رواد مدرسة الشكلانيين الروس، وأكثر من يستخدمه توماشفسكي بوريس، في تحليله لحكايات والقصص، ولمزيد من الاطلاع على هذا المفهوم وأبعاده، ينظر: توماشفسكي بوريس: نظرية الأغراض، ضمن كتاب: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة د. إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط/ مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1982 م، ص 139.

(6) ألف ليلة وليلة، المجلد الثاني، ص 164.

(7) نفسه، ص 165.

خارجا من حجرة زوجته، فيتأكد من خيانتها له، ويندم على ذبحه درّته[9].

ويظهر هذا النموذج في حكاية (المرأة إحدى بنات التجار)، التي عشقت غلاما ظريفا، والتي كانت تستدعيه إليها في سفرات زوجها، وبمصادفات الليالي التي تقتضيها طبيعة السرد الحكائي، حتى ينمو وصولا إلى الذروة، يتعارك الغلام المعشوق مع رجل من المدينة، فيشكوه هذا الرجل إلى الوالي، فيسجنه الوالي تأديبا له، فما كان من المرأة إلا أن نصبت كمينا للوالي والقاضي والوزير والملك، وأحد النجارين وأغرتهم بجماليات جسدها، ودعتهم إلى مواصلتها في منزلها، في ساعة واحدة، وعندما وصلوا إليها احتالت عليهم وجرّدتهم من ملابسهم، وأخفتهم في خزانة واحدة كان قد صنعها النجار حتى تتسع لهم، واستطاعت أن تأخذ أمرا من الملك إلى الخازندار ليطلق عشيقها، ثم ذهبت إلى الخازندار، وأطلقت سراح هذا العشيق، وهربت به، تاركة رجال السلطة المرموقين مسجونين داخل الخزانة، وفي حجرة نومها، متسربلين بعريهم أمام سكان الحي الذين قدموا، وأرادوا حرق الخزانة بمن فيها[10].

> أسهمت سلطات مدن ألف ليلة وليلة، في تعميق الهوة بين طبقات المجتمع، وتكريس التباين الطبقي

وثمّة حكايات أخرى كثيرة، تشكل الحيلة والشر والمكيدة بنيات مهمة منها، وأبطالها معظمهم من النساء، و((شيء طبيعي أن يكثر الشرّ الصادر عن المرأة في الليالي هذه الكثرة، وتعجّ به الصفحات فقد قامت هذه الحكايات على أساس من خيانة زوجة لزوجها، وتسببت في تعقيده وسفكه للدماء حتى إنّه أصبح سفّاكا لا يروي ظمأه دماء العذارى ولا يشفي غليله تمزيقه في أبدانهن، فكأنّ شهرزاد أو بمعنى أدقّ قاص الليالي قد عمد إلى توضيح هذا الشرّ الصادر عن النسوة، وكأنّه يودّ أن يثبت للملك المطعون في شرفه أنّه ليست زوجته فقط الشريرة فهناك الكثيرات مثلها أكثر منها شرا))[11].

ويبقى منطق الحيلة في الليالي ناتجا عن التباين الطبقي الحاد في المدينة العربية الإسلامية، وغير الإسلامية التي جرت حوادثها داخل فضاءاتها المكانيّة والزمانيّة، وداخل الشرائح الاجتماعية التي تشكّلت منها مجتمعات الليالي، وما يفرزه هذا التباين من افتقاد الشخوص إلى الأمان والطمأنينة، وإلى دخل مادي اقتصادي يؤمّن لهم عيشا حرا كريما، ولذا نشاهد، على سبيل المثال، أن كل حيل دليلة المحتالة، وترويعها لبغداد كانت بهدف أن يُعاد صرف مرتب زوجها، الذي كان مقدم بغداد سابقا، هذا المرتب الذي

(8) نفسه، المجلد الثالث، ص 172.

(9) نفسه، ص 174.

(10) لمزيد من الاطلاع تراجع الحكاية في المجلد الثالث من ص 195 إلى ص 200.

(11) د. هيام علي حماد: المرأة في ألف ليلة وليلة، جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، طبعة سبتمبر، 1979، ص 72.

توقّف بعد وفاة زوجها، ((فقالت زينب لأمّها الدليلة انظري يا أمي هذا أحمد الدنف جاء من مصر مطرودا ولعب عدّة مناصف في بغداد إلى أن تقرّب عند الخليفة وبقي مقدّم الميمنة (...) ونحن معطّلون في هذا البيت لا مقام لنا ولا حرمة وليس لنا من يسأل عنا (...) قومي واعملي حيلا ومناصف لعلّ ذلك يجعل لنا صيتا في بغداد وتكون لنا جامكية أبينا))[12].

لقد أسهمت سلطات مدن ألف ليلة وليلة، في تعميق الهوة بين طبقات المجتمع، وتكريس التباين الطبقي، وهو ما جعل هذه المدن تغص بالمكايد والحيل، والاغتيالات والتجسس، والخوف، وكانت السلطة نفسها في هذه المدن تعمد إلى تشكيل هذا الجو الموبوء بالمكايد والحيل، فقد كانت قصور هذه السلطات راعية لهذه الحيل، مخططة لها، فرجال القصر يحتالون على بعضهم، ونساء القصر كذلك، ولعل هذه الحيل كانت ضامنة لأن يحتفظ رجال السلطة ونساؤها بمكانتهم الاجتماعية والسياسية، إذ كانوا ينتصرون على خصومهم السياسيين بالمكيدة والحيلة، وكانت مكانة النساء تتعزز وتقوى كلما كنّ حذرات وقادرات على ردّ الميكدة بمكيدة أقوى منها، مع ملاحظة أن معظم هذه الحيل التي تحيكها النساء والرجال تكاد تكون متشابهة في معظم مدن ألف ليلة وليلة، سواء أكانت هندية أم فارسية أم عربية إسلامية، وذلك بفعل ظروف الاستبداد والقمع والخوف التي تتشابه في هذه المدن، وهنا يمكن القول: ((إنّ الظروف المناخيّة المتشابهة تنتج نفس النباتات، وكذلك تنبت حكايات متشابهة في مناطق مختلفة))[13].

إن ظروف السلطات في مدن ألف ليلة وليلة، وطبيعة تكوينها الفكري والمعرفي، وأنماط حياتها المتشابهة، عادات وأعرافا وتقاليد، وطرقها في التحايل على طبقات المجتمع كلها، وعلى أفراد طبقتها نفسها شكّل نفوسا خائفة مشوّهة مهزومة لا تثق بأقرب المقربين إليها، على أننا نلاحظ أن الحيلة والشر والمكايد والحسد والمكر، بنى عامة، يتورط في الوقوع في لوثاتها معظم أبناء طبقات المجتمع: الأغنياء والفقراء، الرجال والنساء، باختلاف مهنهم وأعمالهم، الحكام والقادة باختلاف مناصبهم ومسؤولياتهم في هيكلية الدولة. غير أن أهم الحيل في ألف ليلة وليلة وأكثرها انتشارا هي حيل النساء التي تهدف إلى الوصول إلى الحب وإرواء الغرائز الجنسية، والحصول على المكاسب المالية، وامتلاك قلوب الرجال تمهيدا للوصول إلى السطوة والبطش والثراء الواسع، وإلى إزاحة نساء أخريات يزاحمنهن لنيل هذه المكاسب والاستئثار بها. وكذلك حيل الرجال لتطويع النساء والوصول إليهن وصولا عاطفيا، وجنسانيا في معظمه، والقضاء على خصومهم من رجال آخرين يزاحمونهم في التجارة والسياسية والسطوة واتخاذ القرار، وامتلاك الثروة والارتقاء في سلم الحياة وشعابها الواسعة.

(12) ألف ليلة وليلة، المجلد الثالث، ص 258.

(13) فريديرش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، ص 35.

أ.د/ عبدالرزاق حسين
أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

الارتحال من موانئ العمر: قراءة في شعر غازي القصيبي

هل بقي شيء لم يُقلْ في غازي القصيبي وشعره؟ وهل صمتت الأقلام بعد ارتحاله؟ أم أنّه سيظل يشغل من بعده كما شغل أبو الطيب الناس، وملأ الدنيا؟ كما قيل: الكلمة الأخيرة في أيّ أدب أو أديب لم تقل، وستظل بوابة العبور مفتوحة لكلّ عابر.
قراءتي لشعر غازي لم تتوقف منذ أكثر من أربعة عقود، عندما درست حالة التنازع على الشعراء التي انتابت الأدب في الخليج والجزيرة العربية، في بدايات الاستقلال، وبدايات الانتعاش الأدبي.

ولم تتوقف متابعاتي لهذا الأدب بعدها، فقد كان يعبر بين سطور أبحاثي ودراساتي للشعر في المملكة ككتابي عن «مكة في عيون الشعراء»، و«صورة المدينة المنورة في الشعر العربي»، و«زمن الحجر الشعري»، وغيرها من البحوث والدراسات التي أرجو أن تنشر قريبًا. إلى جانب تدريسي لمادة الأدب في المملكة العربية السعودية، وإشرافي ومناقشاتي لعدد من الرسائل حول هذا الأدب.

ويبدو أنَّ الوقت قد ناسبني لأعيد القراءة، ولأحيط ببعض جوانبها، وبخاصة في اقتراب مرور الذكرى السابعة لوفاته يرحمه الله، فجمعت ما أنتجه غازي القصيبي من شعر، ورحتُ ألتقط عديد الموضوعات التي تصلح للبحث والدراسة، ولكنَّ موضوعًا أدهشني وحثَّني على البدء فيه، وهو هذا العنوان الذي ارتأيت صلاحيته للتعمق في حياة الشاعر ونفسيته.

من شرفات العمر يُطلُّ علينا كما يطلُّ الفنار على البحر، أو الصقر على مقناة الجبل، يجول بعينيه يراقب الفريسة الأصلح، أو كما يقف المعلِّقُ الرياضي على شرفٍ يصف لنا مجريات المباراة.

على شرفات ومشارف العمر يقف غازي القصيبي ناقلا حركة العمر الموارة، واصفًا رحلته مع قطار الزمن، متابعًا شراعه العابر خضم البحر العميق على صاري سفينة عمره، لا أكاد أجد مِنْ بين الشعراء مَن انشغل بعمره مثل هذا الانشغال! ولم أجد من قبَّح سنِّ الكهولة مثل هذا الذم! فتصوير الكهولة بالقبح جاء مبكرًا، نعم قرأنا لمن وصف الشيخوخة، وتَقَدُّمَ العمر بالصورة التي هي عليه، ولكنَّ الشاعر القصيبي بدأ يرى تغير الصورة من الجمال إلى القبح مبكرًا، يقول[1]:

وَعُدْتِ فأيقَظْتِ بينَ الضلوعِ
صبيًّا جميلًا وكهلًا دميما

من يلمُّ عمرَه وهو في اكتمال الرجولة؟ فالأربعين زهو البهاء، وتمام العقل والتجربة، ومع ذلك نجد للشاعر قصيدة وهو في هذا السن، يقولمنها[2]:

أنا بين القبورِ ألَمُّ عمري
وأنتَ ذبالةٌ خلفَ الضباب

وها هو ذا في مقتبل الخمسين يقع فريسة بين مخالب العقود الخمسة[3]:

كانت تغني والمساء حولها
أرجوحة من الغزل
والبحرُ بدْرٌ وقُبَلْ
وكنتُ في مخالبِ الخمسين
أَرنو لابنة العشرين

هل يصل الأمر بابن الخمسين إلى حدِّ القنوط والفتور والملل، إلى درجة أنَّ يومًا

(1) قراءة في وجه لندن 58
(2) ورود على ضفائر سناء 73
(3) عقد من الحجارة 13

هل هناك أصعب من أن تتفتح عينا الطفل على فقد أمّه بحر الحنان؟

جديدًا في هذا العمر يأتي يكون قاتلا[4]؟:

يا فجرُ هل تظنني أُحبُّها؟

وقال لي الفجرُ: أجل.

ولم يقلْ لي لمَ جاءَ أحمراً ومن قتلْ.

هل تصبح الخمسون هاجسًا للشاعر؟ هل تزرع القلق والأرق والسهاد في عينيه؟ يبدو لي أنَّ شيئًا ما في حياة غازي القصيبي كان يدفعه إلى هذا الإحساس الحاد بالعمر، هل ذلك راجع إلى أولئك الأحباب من أهله، والأصحاب الذين زُرعوا في حديقة الموت وهم في مقتبل العمر؟

ثـمَّ جـاءَ الـزَّمـانُ يـسـرقُ مِنِّـي

الأعزَّ الأعزَّ مِنْ أَصفيائي[5]

أم ما يراه، ويعايشه من أحداث دامية في الوطن العربي، جعلته يصل إلى هذا الطريق؟ أم أنَّ حمل السياسة وأعباءها تُوصل المرء إلى هذا الحد من الشعور بالبؤس؟

في الإجابة عن السؤال الأول يبدو لي أنَّ المقولة القديمة التي تقول: « منْ قَصُرَ عمره كانت مصيبتُهُ في نفسه، وَمَنْ طال عمره كانت مصيبتُهُ في غيره « ولقد توالت مصائب غيره عليه، فها هو ذا يقف أمام شجرة العائلة، وثمارها تتساقط أمام عينيه الواحدة تلو الأخرى والأشد أنها تسقط ولم تنضج بعد!

فغازي في رثاء الأهل والأصدقاء يموت كلّما فقد عزيزًا عليه، فمن يفقد أقرب الإخوة لديه في عزِّ شبابه نبيل، ثم يفقد أخاه عادل وأخته حياة، وابن أخيه الضابط الشاب، وابنة أخيه الوردة التي ما أن تفتَّحت حتَّى ذوت، لقد حُقَّ له أن يقول(6):

وفي كـلِّ يـوم راحـلٌ بـعـد راحـلٍ

من الأهل والأصحاب أُودِعُهُ التُّرْبا

وَأَتْـرُكُ شيئًا مِـنْ حَياتي بِقُرْبِهِ

وَيَـرْقُـدُ لا بُـعْـدًا أُحِسُّ وَلا قُربا

يمـوتُ قـلـيـلاً مـن يمـوتُ صـديـقُـهُ

وإنْ كانَ يبدو الشَّامِخَ الصَّامِدَ الصُّلبا

تَظلُّ جراح غازي القصيبي تُنكأُ بين الحين والحين، ففراق أعز الناس عليه، وهو في

(4) الديوان نفسه 14

(5) الديوان السابق 45

(6) يا فدا ناظريك 25 - 26

أمس الحاجة إليهم عاطفيًا، يراهم يمضون، ويخلفونه بين حسرتين: حسرة الفاقد الملتاع، وحسرات ومصاعب الحياة، هل هناك أصعب من أن تتفتح عينا الطفل على فقد أمِّه بحر الحنان؟ووفاة الأخ الصديق نبيل الذي أهمَّه وكتب فيه عددًا من قصائد الرثاء؟ أو الأخ الأب خليفة؟أو الأخ المعادل عادل؟أو الأخت شقِّ النفس حياة؟ أو ابن الأخ الذي يختال بريعان شبابه؟ أو ابنة الأخ الوردة الناضرة التي يقطفها الموت وهي لا زالت تتفتح؟ أو الصديق الوفي الذي يمثل له تعويضًا عمَّا فقد من الإخوان؟ فمن أسرته المقربين يفقد إخوة، وأبناء إخوة، وأخوال، فممن فقد: (خاله فاروق بن يوسف القصيبي، وصبا ابنة أخيه عادل، ومازن ابن أخيه مصطفى، وهيثم بن محمد القصيبي، ومن أصدقائه رثى:الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، وأحمد بن محمد آل خليفة في حفل تكريمه، ويوسف الحماد، وبلند الحيدري الشاعر العراقي، ومحمد الماجد، وفؤاد الزبن، ونزار قباني، والأمير فهد بن سلمان بن عبدالعزيز، وأحمد بن سلمان بن عبدالعزيز، وعبدالعزيز المعيبد، والشاعر حمد الحجي، وعبدالوهاب العيسى، والدكتور محسون جلال، ويوسف الشيراوي).

إنَّ ألم الذكرى يوهي عضده، ويكسر ظهره، ويفسد عليه كلَّ جميل في هذه الدنيا، ففي قصيدة «واهٍ عضدي» تتمثَّل أمامه صورة أخيه «خليفة» الذي كان يرى فيه ليس الأخ الأكبر فقط، بل الأب الحنون الذي عوَّضه حنان والده، ويعلن شقاءَه لهذا الفقد[8]:

ما أشقى المرءَ بدونِ أَخٍ

شهمٍ كأخي

يأخذ بيدي

ويدلِّلُني مثل الولدِ

ويفاخرُ بي أهلَ البلدِ

ويصرخ كما صرخ الشاعر القديم:

أخاكَ أخاكَ

بغيرِ أخٍ

كيف تواجه غصصَ الدنيا

وشرورَ البغضةِ والحسدِ

واهٍ عضدي

ويتماهى هذا الألم مع تلك الحكمة الرائعة لمسكين الدارمي[9]:

أَخــاكَ أخــاكَ إِنَّ مَــنْ لا أَخًــا لــهُ

كســاعٍ إِلــى الهيجا بغيرِ سلاحِ

يكاد وجه غازي الممتلئ حزنًا يطلُّ من بين عباراته، وهو يرثي ذلك الضابط الوسيم الذي جاء يستعرض بزَّته العسكرية أمام عمه، ليفيض إعجاب العم بهذه النجوم المتألقة فوق كتفه.

(8) قراءة في وجه لندن 53

(9) الأمثال لابن سلام 181

في بزَّةِ الضُّباطِ كان رائعًا
كانَ وسيمًا فارعًا
قبَّلتُ فارسي الوسيمَ قُبلتين
واليوم... رنَّ هاتفٌ يقولُ لي
مازنٌ مات.

ويتحول سؤال كيف المتوالية (كيف؟! كيف؟! كيف؟!) إلى غصة في حلق العم الشاعر

أيموت الشباب ويبقى الشيوخ؟ أيموت الفارس مازن ويبقى الكهل غازي؟ حكمة الله:

من لم يمت بالسيف
يموت في حادثة اصطدام

نعم، وكما قال الشاعر القديم[11]:

مَنْ لم يمتْ بالسيفِ مات بغيره
تنوَّعتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ

إنَّها مصيبة الموت، فمن قصُر عمره كما قيل: كانت مصيبته في نفسه، ومن طال عمره كانت مصيبته في محبّيه، وها هو غازي يتلقى هذه الضربة الموجعة كالخيل الصابرة[12]:

ترحلون
ونحنُ نبقى هاهنا
نحنُ الشيوخُ والكهولُ
ندبُّ نحوَ الموتِ كالخيول
حين تهرم الخيول.

والسؤال المشبع بالأليظلُّ يعلقم ريق الشاعر بطعم المصائب المرير، فابنة أخيه عادل «صَبا» ذات الصِّبا الناضر تُقْطَف قبل أوان تَفَتُّحِها، فينفجر السؤال[13]:

أَفي العشرين يا أَبْهى الصَّبايا
أَفي العشرين تَسْرِقُكِ المنايا؟!

سؤال جارح، وتكرار الفقد المريع، يغصُّ به الشاعر، أفي العشرين تُسرق النضارة والملاحة؟

ولقد وجدته في وفائه لأصدقائه مثلًا في صدقه وعاطفته، ومثلًا في وفائه.

ومن الذين رثاهم صديقه الحبيب عبد العزيز المعيبد، يقول فيه منقصيدة بعنوان «أبا سمر» والعنوان لون من نداء القريب، فهو على بعده يظل قريبًا، ولعلَّ مقطع وصف حزنه عليه يبين عن هذه العلاقة المتينة، وهذا الود العامر، وهذه الألفة الصادقة، يقول[14]:

أبا سمرٍ! أَجرُّ إليكَ حُزني
وكم واسيتَ لي حزنًا أليما
أجيئكَ والدموعُ تحزُّ قلبي
وكم شاطرتني القلب الرحيما
ولو أبصرتَ صحبك حين ناحوا
إذن لحسبتهم ولدًا يتيما
تعلَّقنا بحبل الوهم حتَّى
عمينا أن نرى الجسد السقيما
فخَرَّ الوهمُ في يدنا صريعًا

(10) قراءة في وجه لندن 22 ـ 25
(11) الذخائر والعبقريات 291
(12) قراءة في وجه لندن 24-25
(13) قراءة في وجه لندن 26
(14) عقد من الحجارة 39

وخـــرَّ عـزيـزنـا قـلـبًـا كليـمـا

هذه العاطفة الجياشة، وهذا الوهم الذي تعلَّق به الشاعر في نجاة صاحبه تذكرنا بقول المتنبي في رثاء جدته[15]:

طـوى الجـزيـرة حتـى جـاءني خبرٌ

فـزعـتُ فيه بـآمـالي على الكذبِ

حتَّـى إذا لم يـدع لي صـدقه أمـلا

شَرِقْتُ بالدَّمعِ حتى كادَ يشرقُ بي

ويظهر غازي في مراثيه وقد ألمَّ بمراثي من سبقوه، فهو يصوغ بعض معانيهم، كقوله في رثاء خاله[16]:

عجبتُ لهذا القبرِ ما ضاق إذ حوى

على ضيقهِ مَنْ يَمْلأُ الشرقَ والغربا

فهو يتناص مع قول الحسين بن مطير في رثاء معن بن زائدة[17]:

أيـا قـبـر مـعـنٍ كَـيـفَ واريـتَ جـودَهُ

وَقد كَانَ مِنْهُ البرّ وَالْبَحْر مترعا

بلَى قد وَسِعْتَ الْجُـودَ والجـودُ ميتٌ

وَلَـو كَـانَ حيّاً ضِقْتَ حتَّى تصدَّعا

وفي رثـاء الـدكتـور محسـون جـلال نجده يستدعي معاني ابن الأنباري في رثاء الوزير ابن بقية حيث يقول[18]:

عـلـى قـمَّـةٍ تـرنـو إلـى الـبـحـرِ تـرقـد

كـأنَّـك صـقـرٌ حيـثُ حلَّـق يُـلْـحَـدُ

تـخـيَّرتَ لـلـنـوم الأخـيـرِ وسـادةً

من الغيم تستدعي النُّجومَ فتصعدُ

ألا ترى المقاربة والتعانق والتعالق مع قول ابن الأنباري[19]:

عـلـوّ في الحـيـاة وفي المـمـات

بـحـقّ أنـت إحـدى المـعـجـزات

ولمـا ضـاق بـطـن الأرض عـن أن

يـضـمّ عـلاك مـن بـعـد المـمـات

أصـاروا الجـوّ قـبـرك واسـتـنـابـوا

عـن الأكـفـان ثـوب السّـافـيـات

ويتناص في حزنه على صديقه مع المهلهل في حزنه على أخيه كليب، وما تضمينه لشطر بيت المهلهل سوى مشاركة لهذا الفقد المريع، والشطر من بيت المهلهل هو[20]:

«سـقـاكَ الغـيـثُ إنَّـكَ كنـتَ غيثًا «وعجز البيت:وَيُسْرًا حينَ يُلْتَمَسُ اليَسارُ

والشطر الثاني لغازي[21]:

سقى الصحراءَ دفّاقًا عميما

ويرثي صديقه الشاعر بلند الحيدري الذي بكته بغداد، وبكاه صديقه غازي[22]:

بـكـيـتُـكَ والـعـراقَ فـيـا لأرضٍ

نـفـتـكَ ومـا نـفـتـكَ مـن المـآقـي

(15) ديوان المتنبي ص433

(16) يا فدا ناظريك 30

(17) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب 5/479

(18) حديقة الغروب 25

(19) التذكرة الحمدونية 5/384

(20) مجاني الأدب في حدائق العرب 6/213 وفي الموازنة نسب لشقيق بن سليك العامري 3/511

(21) عقد من الحجارة 39

(22) قراءة في وجه لندن 62

نعود لطرح السؤال، هل كانت كل تلك المصائب هي التي ألحَّت على سِفْرِ الموت المفتوح الذي يطالعه غازي في كثير من قصائده؟ بل وكثير من نثره؟لعلَّ رقَّة الشاعر، وفرط إحساسه لكلِّ أمر صَغُر أم كَبُر، هو ما جعله يتمثل الموت منتصبًا أمامه في كلِّ لحظة.

ففي قصيدته التي عنوانها «خمسون» يجعل(هذه الخمسين) فاتحة لكلِّ مقطع من مقاطع القصيدة، فهذه الخمسون التي أوصلته إلى غاياته وطموحاته كما يقول[23]:

خمسون صبَّت لك الأقداح مترعةً

ونادمتك فأنت الريُّ والشَّبعُ

ساقت لك القمةَ الشمَّاءَ طائعةً

وأنت منها على الآفاق تطلعُ

هذه الخمسون يبدو أنها تريد أن تتقاعد من خدمة غازي، فقد أتمَّت عملها، واستكملت شروط نهاية الخدمة.

ومن هذه القمة الشماء التي وقف عليها الشاعر كالصقر الذي يقف يراقب فرائسه، أو كمذيع كرة القدم يصف تقدم اللاعبين وتأخرهم، ونجاحهم وفشلهم في تمرير الكرة وتصويبها، يقف غازي، فمن على تلك الشرفة العالية، نجد الخمسين وفيها هذه الأمواج المتضادة، فعذوبة البحر تمررها ملوحة بحر آخر، فالأصحاب والأعداء يحتشدون، والنظر الشزر يدفعه طرْفٌ ماتع، والدموع تختلط بالفرح، والصفو يشوبه الكدر، مرَّت الخمسون كم أعطى! وكم أهدى من روحه، وغنائه وبذله! لقد كانت هذه الخمسون كمعركة البسوس، أو داحس والغبراء، لم يتوقف فيها القتال[24]:

خمسون.. ما مرَّ يومٌ دون معركةٍ

أَما تولاكَ في أحضانها الجزعُ؟

إنَّ هذا التعداد لينبئ عن فارسٍ ختم معركته بتفقد نتائجها، ويا للهول! فقد اشتعل الرأس شيبًا من هولها:

خمسون دبَّت إلى الفودين فاشتعلا

واحرقةَ الرأس فيه الشيبُ والصلعُ

والإحساس بالفقد يجعله لا يتحسَّسُ رأسه فقط، بل إنَّه يبحث في المرآة عن الطفل الذي فقده والكهل الذي حلَّ محلَّه[25]:

أَخذَ الطِّفلَ من ضلوعي وأَبْقى

وَحْشَةَ الكهلِ في ليالي الشتاءِ

وعلى الرغم من كلِّ ما هو فيه من عزٍّ المركز، وشهرة الشاعر والأديب، يصل به الأمر إلى الزهد في هذه الدنيا، فنصف قرن يكفي ليتعلم الإنسان، ويصل إلى المعرفة اليقينية[26]:

ربّاهُ! في نصف قرنٍ ما يُرَدُّ به

رُشْدُ الغَويِّ وما يهدي وما يزَعُ

أُتْخِمْتُ مِنْ زهرةِ الدُّنيا وزُخرفَها

(23) عقد من الحجارة 24
(24) الديوان نفسه 26
(25) الديوان السابق 45
(26) الديوان نفسه 27

> أنه بدأ يلمُّ عمره وهو في الأربعين، وظلَّ هذا الإحساس يرافقه في أطوار حياته

ولم يَعُدْ في سوى أُخراكَ لي طمعُ

هل يبدو في هذا القول تعجُّل للوصول؟ نعم، كان كثير من الشعراء اللاهين عندما تدنو ساعتهم، أو يبلغ بهم العمر كلَّ مبلغ يزهدون، وهذا ديدن كثير منهم، ولكن أن يصل الأمر بهذه السرعة، فإنَّ وراءَ الأكمة ما وراءَها!فنحن نقرأ للشعراء المحارفين في رزقهم، أو الذين ضاقت بهم السبل، وصُبَّت عليهم المصائب، أو أولئك الذين ابتلوا في حواسهم وأعضائهم، يعلنون زهدهم في هذه الدنيا، واستعجالهم التخلص منها، أمَّا من يكون في مثل مكانة غازي الشعرية، والاجتماعية، والوظيفية، والمالية، والصحيَّة، فقد يُسْتَغْرَبُ منه هذا التعجل! فكما ذكرنا في بداية الحديث، أنه بدأ يلمُّ عمره وهو في الأربعين، وظلَّ هذا الإحساس يرافقه في أطوار حياته، كلما تقدَّم سنة تساقط عمره شعرة شعرة كما يقول، والدليل أنَّ الشاعر رافقه هذا الإحساس قبل بلوغه الخمسين، فقصيدة الخمسين تاريخها 1990 وقبلها بثلاث سنوات 1987 نجد أنَّ هذه القامة الضخمة قد هدَّها الإعياء، وذلك القلب الكبير قد ضاقت شرايينه، فهو جرح منهزم، ويأس محتدم[27]:

تأملـيني! أنـا الجـرحُ الـذي هربت
منه الأُسـاةُ أنا الجرحُ الذي نُكأَ
تأملـيني! أنـا الإصـــرارُ منهـزمًا
واليأسُ محتدمًا والجمرُ منطفئا
تـأمـلـيـنـي!أنـا الأشـــواق ميـتـةٌ
تأملـيـنـي! أنـا الـشـلالُ منكفئا

لماذا يلح مصطلح الموت على دواوين غازي المتتالية، هو لم يجاوز الأربعين، ويقول[28]:

الأربعين أقلعت كزورق منكسر
وهذه الخمسون تدنو كالخريف الحذر

أفي هذا العمر وفي نهاية الأربعين من عمره، يقف غازي مراقبًا الموت عن كثب؟ نعم في هذه السن المبكرةيقول[29]:

(27) الديوان نفسه 31
(28) ورود على ضفائر سناء 31
(29) الديوان نفسه 20

وها هي ذي ساعة الموت شعرا

وفيافي الكهولة وقفارها تبدو لعيني غازي فيسير دروبها كهلاً متعثِّرًا مندثرًا[30]:

يا أنتِ من ألقاك في

الدرب وألقى عمري

صبيةً مشغوفةً

بكهلها المندثرِ

وسؤاله لمحبوبته إذا ما مات سؤال صاعق، يقول[31]:

إذا مِتُّ

هل تكتبين على الماء

أرهقه السير في المستحيل

فأغفى.

وها هو ذا شيخٌ يمضي عابرًا مضيق المنية[32]:

إنَّني أحملُ يا غاليتي

كلَّ حزنٍ عرفته البشرية

مِنْ عذاب الوعدِ في الرَّحْمِ إلى

حشرجاتِ الشيخِ يجتازُ المنيةْ

ويرى مرَّ السنين المسرعة به إلى حتفه[33]:

ويؤلمني مرُّ السنين كأنَّها

تشقُّ بأضلاعي إلى حتفها دربا

لقد تبدو حياة القصيبي للرائي مليئة بكل ما هو رائع وجميل، ثروة وجاه ومنصب وعز وشهرة، ولكنَّه يرى عكسها تمامًا، فمن يشكو إليه الموت، يقابله بشكوى مضادة، فالحياة عنده أمرُّ من الموت[34]:

أَتشكو إليَّ الموتَ أَشكو نقيضهُ

حياةً تريني الموتَ في مُرِّها عذبا

مفردات الموت في شعر غازي حاضرة حضورًا واضحًا، ولو أحصينا لفظة الموت في شعره لأعطت حصيلة وافرة، ويبدو لي أنَّ تكرارها ليس عبثًا في شعره، وقد يعجب القارئ من تلبس هذه الحالة لشاعر عاش كما يتمنى غيره مالاً، وجاهًا، وعزًّا، ومكانة، لقد تسرّب لفظ الموت إلى قصائده ليس في الرثاء فقط، بل في الوصف، ومداعبة الصغار، إلى درجة أنَّ الحبَّ يتحوَّلُ موتًا[35]:

وتحتَ الحبِّ خطٌّ

إنَّهُ الموتُ الزؤامُ

والسلام.

وها هو الموت يلاحقه، ويجدُّ في طلبه مسرعًا، فهل كان يشعر بدنو أجله[36]؟

وكمْ هيَّجتُ من خطرٍ

وجدَّ الموتُ في طلبي

(30) الديوان نفسه 30
(31) الديوان نفسه 58
(32) قراءة في وجه لندن 102
(33) يا فدى ناظريك 31
(34) الديوان نفسه 30
(35) قراءة في وجه لندن 70
(36) عقد من الحجارة 19

الموت الملاحق دليل خطر يحسُّه الشاعر، لا أستطيع أن أجزم من أين تأتَّت هذه الصورة المريعة لغازي حيث يجدُّ الموت في طلبه، هل كان يعاني من مرض لم يُظهره؟ أم من أعداء يتربصون به؟ أم هو مجرَّد إحساس وكفى؟ إذا وصل الموت إلى ساحة الفرح والغزل فاعلم أنَّ شيئًا ما يشدُّ الشاعر شدًّا، فها هو ذا يطلب الموت في عيني محبوبته[37]:

تُرى أأَموتُ في عينيكِ؟

ما أغلاهُ مِنْ أَرَبِ!

قد يُقال: إنَّ كثيرًا من الشعراء قد تمنوا الموت في أحضان محبوباتهم، كلون من ألوان التعبير عن شدة الحب، فتفدية المحبوبة بالنفس، وقتلها لمحبوبها بنظراتها إنَّما هو لون من التصوير والتعبير عن شدة أثر الحب، ولكن أن يكون الغزل في كثير من لقطاته مرتبطًا بالموت، وملازمًا له، فذلك فيه السؤال المر[38]:

ولم يقلْ لي لِم جاءَ أحمرًا

وَمَنْ قتل.

وإذا كان الشاعر يحترق بأشواقه، ويتحرَّق لرؤية محبوبته، فإنَّ شاعرنا هو الأشواق الميتة، لا شك إنَّنا إزاء فكرة سيطرت على روح الشاعر وعقله وشعره[39]:

تأمّليني أنا الأشواقُ ميتةً

والزمان في قسوته على غازي قتل حتى الكلمة الشاعرة[40]:

قتلَ الشعرَ والقوافي فما أنطقُ

إلَّا بغُصَّةٍ خرساءِ

وها هو ذا سمك القرش يحوم حوله لافتراسه، يقول[41]:

وراحَ القرشُ مِنْ حولي

يخطُّ دوائرَ العطبِ

وهو يذكُرُ ويُذَكِّرُ قبل أَنْ يرحل[42]:

ثمَّ جاءَتْ ليالي الشجن

نعقَ الموتُ في الأرزِ

واصطبغَ الكرم بالموت

ونحن نسابق في هذه الحياة، ولكنَّ الموتَ أسبق[43]:

تُسابقُ بالحياةِ اليأسَ حتى

ظفرتَ وخابَ موتُكَ بالسباقِ

وإذا كان الصبح يتنفس، فإنَّ فجر الكفن يتنفس عند غازي[44]:

قبلَ أَنْ يتنفَّسَ فجرُ الكفنْ

اذكروا أَنَّهُ

كان لي ولكم

ذاتَ يومٍ وطنْ

(37) الديوان نفسه 20
(38) الديوان نفسه 14
(39) الديوان نفسه 31
(40) الديوان نفسه 45
(41) الديوان السابق 20
(42) الديوان نفسه 50
(43) قراءة في وجه لندن 63
(44) عقد من الحجارة 51

وعند الحاجز يلقي بنظراته الأخيرة، إذ كان يشعر باقترابه رويدًا رويدًا من محطة النزول، وها هو الآن على بضع خطوات من ميناء الارتحال الأخير[45]:

قد رآه الصيف ذات مرة، ولكن....!!

أبصرني الصيف هنا مرَّةً

أشكُّ أَنْ يبصرني مرَّتين.

لقد وصل به الأمر إلى أن يسدل الستار فلا غد ينتظره[46]:

أَنتِ الشبابُ إلى الأعراسِ منطلقٌ

أنا الكهولةُ يومٌ ما لديهِ غدُ

وتمشي الخمسون وتتابع السنون ليصل إلى[47]:

وما بيننا ستٌّ وخمسون تحتها

يئنُّ شبابٌ كانَ بالأمسِ يبغمُ

وَحِرْتُ فما أَرضى الكهولةَ مرفأ

ولا الزمنُ الماضي يحنُّ فيقدمُ

الأسى الذي تلبس الشاعر القديم أبا العتاهية فقال متمنيًا[48]:

عريتُ من الشبابِ وكانَ غضّاً

كما يَعرى من الوَرَقِ القضيبُ

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا

فأخبره بما فعل المشيبُ

إنَّ الإحساس بالجدب يقلق الشاعر، وتقدم العمر يقبض بقبضته على عنق النهار فيحوله إلى ليل دامس[49]:

أَزائرةَ الأيام والعمرُ مقفرٌ

وزائرةَ الأحلامِ والليلُ مظلمُ

وخشية الرحيل تجعله متوجسًا، قلقًا، تتناثر كلماته وأوصافه على لسانه في كلِّ مناسبة، حتى في قصائد الغزل[50]:

كلُّ ما اخشاهُ أَنِّي راحلٌ

عنْ أَمانٍ بين عينيكِ تَجولْ

فإذا غِبْتُ فقولي إنَّهُ

قال في عينيكِ أَحلى ما يقولْ

ويقف غازي على أطلال نفسه، ويسمع الصدى المقهقه، وكأنه يسمع شماتة الزمن فيه، وتحس وطأة السنين وعبور الستِّين، وثقلها على جسده المتهدِّم، تطلُّ من عينيه، وتنسرب من شفتيه، فالجسد المكدود، والنَّفَسُ المبهور، وعبث الأيام برونقه الذي حوَّل صورته الجميلة إلى تلك الصورة الدميمة، كل ذلك ينطق في قوله من قصيدة صدى الأطلال[51]:

كتمَ الشَّوقَ ولو باحَ بهِ

قهقهَ الشَّيبُ على مفرقهِ

(45) قراءة في وجه لندن 35
(46) الديوان نفسه 48
(47) الديوان نفسه 72
(48) ديوان المعاني 2/155
(49) قراءة في وجه لندن 73
(50) قراءة في وجه لندن 89
(51) الديوان نفسه 91- 92

يقف غازي على أطلال نفسه، ويسمع الصدى المقهقه، وكأنه
يسمع شماتة الزمن فيه، وتحس وطأة السنين وعبور الستّين

شبحُ الستِّين في خاطرهِ
وصدى الخمسين في منطقهِ
يا لجهلِ الكهلِ ما خلَّفهُ
عبثُ الأيَّام في رونقهِ
يسألُ المرآةَ أنْ تمنحهُ
بعض ما يغربُ مِنْ مشرقهِ

××××××××××××

تهمسُ المرآةُ لا أُعطي سوى
ما أراه بتفاصيل دقيقةْ
لا يردُّ الدَّهرُ ما أعطى ولو
ردَّهُ كانَ خيالا لا حقيقةْ
أَرقبُ المرآةَحيرانَ كما يرقبُ المطعون منْ خلفٍ رفيقهْ

××××××××××××

يا لرأسي يذهبُ الليلُ بشعره
ويجيء الصبحُ كي يُشعلَ شعرَهْ
شعرةٌ تسقط أيِّامي فشعرةْ
قطرةً تنسابُ أيَّامي فقطرةْ
أَتمشَّى في خريفٍ ما لهُ
من ربيعٍ بعدَه يرجعُ زهرَه قراءة

لقد بلغ اليأس بالشاعر حدَّه، فما سنين اليأس، ويأس السنين تلك التي جعلته مستشار البائسين، إلا غمامة سوداء نسجت رداءَها فوق طموحات غازي وآماله، ويبدو فوق صحته، حيث تراءى له اعتلاله حاجزًا يحجزه عن المتابعة والمجاهدة، فالهموم، والمعاناة، والدموع تكالبت عليه، حتى بدا تساؤله يقطر مرارة[52]:

قلتِ أهواكَ فماذا تعشقين؟
أَسنينَ اليأْسِ أَمْ يَأْسَ السِّنين؟

لقد أصبح خبرًا بعد أن كان مبتدءًا يملأ الدنيا بشعره الجميل[53]:

وتلوحينَ فأنسى أَنَّني
خبرٌ أصبحَ في ذمَّةِ كان

(52) قراءة في وجه لندن 94
(53) الديوان نفسه 93

وأخيرًا، فإنَّه يطلب من نزار قبّاني الذي سبقه إلى الموت أن يهيئ له حفرة إلى جانبه، فقد ملَّ وسئم من حياة الذل[54]:

نزارُ أَزُفُّ إليكَ الخبرْ
سئمتُ الحياةَ بعصرِ الرُّفاةِ
فهيئ بقربِكَ لي حفرةً
فعيشُ الكرامةِ تحتَ الحُفَرْ.

ويمضي غازي عابرًا موانئ الحياة ميناءً ميناءً حتى يصل إلى الشطِّ الفاصل بين الموت والحياة، لتأتي قصيدة اللحظة الأخيرة، تلك اللحظة الفارقة التي يقف فيها الشاعر أمام مرآة نفسه، لقد وقف أمامها طويلا كما مرَّ بنا في أشعاره، ولكنَّ هذه الوقفة هي وقفة الوداع، وقفة النزول من قطار الحياة لركوب ثبج حياة أخرى، ها هو يقرأ نعيه علينا، كبيان إعلام، وكما كان يرسل تعميمًا ليقرأ على الموظفين وهو في قمة السلطة، فهو الآن يرسل تعميمه من نهاية العمر، وهذا الإعلان أو التعميم مضمونه: أنَّه يعلن لكلِّ أحبابه وقرَّائه أنه قد قطع تذكرة الذهاب، فعندما بلغ الخامسة والستين، وبخاصة في حالة المرض الذي ألمَّ به، شعر بدنو أجله، فأعلن شهادة وفاته في صحيفة الجزيرة، بقصيدة بعنوان «حديقة الغروب»،قصيدة «حديقة الغروب» لغازي القصيبيتذكرني بقصيدة للشاعر السوداني محمد عبدالحي كيلاني في ديوانه حديقة الورد الأخيرة، يقول محمد عبدالحي في جلسة منادمة مع الموت[55]:

ها أنا والموتُ جالسان
في حافة الزَّمان
وبيننا المائدة الخضراء
والنَّردُ والخمرةُ والدُّخان
مَنْ مِثْلُنا هذا المساء؟

بدأَ غازي هذه الحديقة، ولا أدري لمَ سمَّاها حديقة، وهو ابن الصحراء! أم أنَّ المسمّى شيء وحقيقته شيء آخر؟[56]:

خمسٌ وستُونَ.. في أجفانِ إعْصارِ
أما سئمتَ ارتحالاً أيّها الساري؟
أما مللتَ من الأسفارِ.. ما هدأتْ
إلا وألقتك في وعثاءِ أسفارِ؟

هل كان عمرك إلَّا سفينة في بحر عاصف، تقاذفتها الأمواج، حتَّى ألقتها على حافة الصخور الحادة، وقد تهشمت وتحطمت؟ والإلقاء هنا فعلٌ جارف، كما تلقي شيئًا زهدت فيه، وهنا هو قذف الأمواج والأعاصير لجسد هذه السفينة المتهالك.

كانت هذه الافتتاحية المرهقة تدلُّ على أنَّ البحَّار قد ألقى عصا التسيار، أو كاد، وهو في ذلك يصدق عليه قول القائل[57]:

(54) للشهداء 60
(55) حديقة الورد الأخيرة 4
(56) صحيفة الجزيرة عدد/
(57) البيان والتبيين 3/27 والبيت منسوب لمضرِّس الأسدي.

وألقت عصاها واستقرَّ بها النوى

كما قرَّ عينًا بالإيابِ المسافرُ

وإذا كانت رسالته الأولى في نعي نفسه لنفسه، فهو هنا كمن يقرُّ لأعدائه بالانتصار على هذا الجسد الهزيل، فهذا الجسد الذي تناوشته الأعداء حتى لم تترك فيه مكانًا إلا حاورته بالكبريت والنار، لم يعُد قادرًا على المقاومة، وكأنَّ هذه الرسالة الأولى لنفسه هي رسالة رضى بالأمر الواقع، وإقناع لهذا الجسد بما سيؤول إليه.

أما تَعِبتَ من الأعداءِ.. مَا برحوا

يحاورونكَ بالكبريتِ والنارِ

والصحبُ؟ أين رفاقُ العمرِ؟ هل بَقِيَتْ

سوى ثُمالةِ أيامٍ.. وتذكارِ

بلى! اكتفيتُ.. وأضناني السرى! وشكا

قلبي العناءَ!... ولكن تلك أقداري

والإقناع تمَّ من خلال طرق ثلاثة: أولها التخلُّص من هذا العداء الذي اكتوى بناره، والثاني، بقاؤه وحيدًا منعزلًا كالغزال الجريح الذي تركه القطيع ورحل، فهؤلاء هم أصحابه غادروه وبقي مع ثمالة العمر، وما بقي في كأسها من تذكار. والثالث: الاقتناع والتسليم بالقضاء والقدر.

أَمَّا رسالة النعي الثانية، فيودعها قلب محبوبته الزوجة المحبة الصابرة الوفية المعينة، وعلى الرغم من حرج الموقف، وصعوبته، فإنَّ غازي يأبى حتى في هذه الحالة إلَّا أنْ يكون شاعر الروح العذبة، شاعر المحبة والألفة، فهو يسقي شهده، ويروي غيره، وهو في اشدِّ حالات العطش، رسالته إلى زوجه تنمُّ عن قلب كبير، وحبٍّ غامر، ووفاء يظلُّ على الزمان يُذكر.

أيا رفيقةَ دربي!.. لو لديّ سوى

عمري.. لقلتُ: فدى عينيكِ أعماري

أحببتني.. وشبابي في فتوّته

وما تغيّرتِ.. والأوجاعُ سُمّاري

منحتني من كنوز الحُبّ.. أنفَسَها

وكنتُ لولا نداكِ الجائعَ العاري

ماذا أقولُ؟ وددتُ البحرَ قافيتي

والغيم محبرتي.. والأفقَ أشعاري

إنْ ساءلوكِ فقولي: كان يعشقني

بكلِّ ما فيهِ من عُنفٍ.. وإصرار

وكان يأوي إلى قلبي.. ويسكنه

وكان يحمل في أضلاعهِ داري

وإنْ مضيتُ.. فقولي: لم يكنْ بَطَلاً

لكنه لم يقبّل جبهةَ العارِ

وتأتي رسالة النعي الثالثة موجهة إلى ابنة الفجر، هل هي ابنة حقيقية؟ أم هي تلك القصيدة التي سيخلفها وراءه، ولا يتركها إلا مجبرًا مضطرًّا بعدما ذوت حديقته، وهاجر طيرها الشادي:

وأنتِ!.. يا بنت فجرٍ في تنفّسه
ما في الأنوثة.. من سحرٍ وأسرارِ
ماذا تريدين مني؟! إنَّني شَبَحٌ
يهيمُ ما بين أغلالٍ.. وأسوارِ
هذي حديقة عمري في الغروب.. كما
رأيتِ... مرعى خريفٍ جائعٍ ضارِ
الطيرُ هَاجَرَ.. والأغصانُ شاحبةٌ
والوردُ أطرقَ يبكي عهد آذارِ
لا تتبعيني! دعيني!.. واقرئي كتبي
فبين أوراقِها تلقاكِ أخباري
وإنْ مضيتُ.. فقولي: لم يكن بطلاً
وكان يمزجُ أطواراً بأطوارِ

××××××××××××

أمَّا رسالة النعي الرابعة فيوجهها إلى وطنه الذي خدمه بكلِّ إخلاص فيودعه بحرارة المخلص الوفي:

ويا بلاداً نذرت العمر.. زَهرتَه
لعزّها!... دُمتِ!... إني حان إبحاري
تركتُ بين رمال البيد أغنيتي
وعند شاطئكِ المسحورِ.. أسماري
إن ساءلوكِ فقولي: لم أبعْ قلمي
ولم أدنّس بسوق الزيف أفكاري
وإن مضيتُ.. فقولي: لم يكن بَطَلاً
وكان طفلي.. ومحبوبي.. وقيثاري

أمَّا خاتمة الرسائل ومسكها، فهي رسالة الدعاء لعالم الغيب وبارئ الكون، بأن يتكفله، ويعفو عنه، متزمِّلاً بحسن ظنه ورجائه، وبإيمانٍ لم تخدشه الأوزار.

وفي مناجاة العبد المؤمن المستسلم لقضاء ربه، يهمس غازي المقبل على الله عز وجل قائلًا:

يا عالم الغيبِ! ذنبي أنتَ تعرفُه
وأنت تعلمُ إعلاني.. وإسراري
وأنتَ أدرى بإيمانٍ مننتَ به
علي.. ما خدشته كل أوزاري
أحببتُ لقياكَ.. حسن الظن يشفع لي
أيرتُجَى العفو إلاّ عند غفَّارِ؟

رحم الله غازي القصيبي، وعفا عنه، وغفر له، فقد كانت رحلته في الحياة رحلة عصامي عظامي.

المراجع العربية

أوَّلًا: دواوين غازي القصيبي

(1) حديقة الغروب: مكتبة العبيكان ط1 الرياض 1428ه/2007م

(2) عقد من الحجارة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط3، بيروت 2011م

(3) قراءة في وجه لندن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط3، بيروت 2011م

(4) للشهداء: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط3، بيروت 2011م

(5) ورود على ضفائر سناء: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط3، بيروت2006م

(6) يا فدى ناظريك: مكتبة العبيكان، ط2، الرياض 1424ه/ 2003م

ثانيًا: مراجع مساعدة:

(7) الأمثال: لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبدالله الهروي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، 1400 هـ – 1980 م

(8) البيان والتبيين: عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ.

(9) التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن حمدون البغدادي ط1 دار صادر، بيروت 1417ه

(10) حديقة الورد الأخيرة: محمد عبدالحي، دار الثقافة للنشر، ط1 الخرطوم 1984م.

(11) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:عبدالقادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ)

(12) تحقيق وشرح:عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ – 1997 م

(13) الذخائر والعبقريات:عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي الأديب المصري (المتوفى: 1363هـ)مكتبة الثقافة الدينية، مصر.ـ ديوان المتنبي: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1403ه/ 1983م.

(14) ديوان المعاني: أبو هلال الحسن بنعبدالله العسكري، دار الجيل – بيروت

() مجاني الأدب في حدائق العرب:رزق الله بن يوسف شيخو (المتوفى: 1346هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1913 م

التربية بمذاق جديد
التربية الجمالية بمذاق جديد

د.هدى صباح

هل يدرك الآباء والأمهات وخبراء التربية وعلم النفس أهمية غرس مفاهيم الجمال في نفوس الأبناء؟ وهل يمتلكون القدرة على التعامل مع الصورة الجمالية التي بثها اللّه سبحانه وتعالى في كل أرجاء هذا الكون من حولهم، وحول أطفالهم في عالم أصبح كل شيء فيه خاضعًا للذوق الجمالي؟ وأين نحن من هذا العطاء الربّاني؟ هل نحسّ بهذا الجمال الفياض في سلوكنا اليومي؟ هل نتذوق القليل أو الكثير في يومياتنا ولياليا؟

فالتربية الجمالية لا تعني فقط الجمال الظاهري للإنسان والذي يتجسد في النظافة وحسن الطلعة وفي الأناقة والزينة، بل تعني على وجه الخصوص الجمال الباطني والجوهري الذي يتجسد في جمال الروح ورجاحة العقل والأخلاق الفاضلة، فكثيرًا ما نادى خبراء التربية وعلم النفس بضرورة اتباع هذا النهج التربوي والذي يعتمد بشكل أساسي على التربية الإبداعية لأهميتها في صوغ العاطفة وتهذيبها وخلق حس نقدي يتلمّس الجمال ويتعاطاه بوعي خلاق ينعكس على نفس المتذوق فيستشعر الجمال في كل شيء حتى في السلوك.

إن الإحساس بالجمال ميل فطري متأصل في أعماق النفس البشرية، فالنفس السوية تميل إلى الجمال، وتشتاق إليه، وتنفر من القبح وتنأى بعيدًا عنه. ولو تأملنا في الفضائل الأخلاقية والاجتماعية كالحب والعفو والعفة والخير والتعاون والكرم والتواضع لرأينا أن هذه الفضائل وغيرها من صميم مفهوم الجمال، وفي المقابل فإن كل الرذائل التي تضر بالحياة الإنسانية والاجتماعية تعدُّ من الأمور المناقضة لمفهوم الجمال كالكذب والغش والعدوان على السلامة الخاصة والعامة وهكذا، إن مسحة جمالية هنا ومسحة جمالية هناك بكلمة جميلة أو موقف لطيف لتخفيف ألم أو زرع ابتسامة أو دعوة إلى الخير والهداية يمكن أن تمحو كثيرا من ممارسات القبح المزروعة في حياتنا.

> ما أتعس من حُرِمُوا نعمة الجمال؛ لأن الطفل يستقي القيم الجمالية من بيئته التي تشبع وجدانه وتروي أحاسيسه

استلهام التراث لتنمية الذوق الجمالي لدى الأبناء:

تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية لتنمية الذوق الجمالي، وهذا بالطبع يعتمد على ثقافة الأهل والبيئة المحيطة والتي تلعب دورًا مهمًا في بناء شخصية الطفل وتنمية قدراته الإبداعية، ويفضل البدء بها في وقت مبكر أي منذ مرحلة الطفولة حتى تتفتح ملكة الإحساس بالجمال، وإذا استطعنا أن نوقظ فيهم هذا الشعور بالجمال فإنهم يتأملون ويرون بأبصارهم ويحسون ببصيرتهم؛ لتمتلئ مشاعرهم سرورًا وإعجابًا وسعادة، ومن خلال ذلك فإن الأطفال تنطبع فيهم ملكة الجمال في المظهر والجوهر، ومن يهمل التأمل لدى أطفاله فإنه يحرم هذه البراعم مما حولها من هذا الجمال، وما أتعس من حُرِمُوا نعمة الجمال؛ لأن الطفل يستقي القيم الجمالية من بيئته التي تشبع وجدانه وتروي أحاسيسه المتعطشة إلى كل ما هو جميل، فعلينا كآباء وأمهات تبصير أبنائنا بموروثاتنا الشعبية والثقافية التي تعد أحد منابر العلم والتعلم لأهميتها في تربيتهم ولأنها تعمل على تنمية الشعور بالانتماء إلى أوطانهم، فلكل حضارة خصوصيتها التراثية التي تميزها عن غيرها، فالتراث هو المرآة التي تعكس حياة الشعوب، ويعد رافدًا أساسيًا من روافد ثقافة الوطن وجذوره الممتدَّة في الماضي البعيد، وهو وثيقة الصلة بحاضر الشعوب

ومستقبلها، كما أن للموروث الشعبي دورًا في مجال التربية المعرفية والفنية الجمالية، وتُعدُّ عاملاً رئيسيًا في تنمية الحس الجمالي لدى الطفل، وتعد في عصرنا الراهن من العوامل التربوية والثقافية إذا ما تم تفعيلها على الوجه الأمثل، ويمكننا أن نربي أطفالنا على هذه الأسس التربوية والقيم الجمالية انطلاقًا مما يتلقاه في المدرسة والأسرة ووسائل الإعلام.

تراثنا عشق لا ينتهي.. ومن أهدافه:

- المساعدة في بناء شخصية أبنائنا بناءً متوازنًا: عقليًا، ونفسيًا، ووجدانيًا، وسلوكيًا.

- المساعدة على غرس القيم الأخلاقية في نفوس الأبناء من خلال النماذج الإيجابية والمحطات المضيئة عبر التاريخ.

- المساهمة في إبراز خصوصية الوطن وصفاته المتفرّدة بين الأمم، والتعرّف على السمات والمزايا التي يتمتّع بها.

- العمل على توثيق العادات والتقاليد، وتعريف الأجيال الجديدة بالجوانب الإيجابية منها، ودعوتهم إلى الاعتزاز والتباهي بها، علاوة على الإمتاع والتسلية، وتنمية روح البحث والاستقصاء.

المفاتيح الرئيسية للتذوّق الجمالي:

هل الجمال كل ما ترتاح إليه أعيننا، ويعجبنا، ويشدّنا إليه؟ أم هذا لا يكفي لتعريف الجمال، وتحديد جوهره الحقيقي السامي؟

يختلف الإحساس بالجمال بين الناس باختلاف القيم التربوية والبيئية وما يحيطها من موروثات ثقافية واجتماعية، وكثيرًا ما نخلط بين الجمال وأشياء أخرى، فنرى أن الشيء الجميل هو الشيء النافع، وهذا ليس شرطًا فى الجمال وفقًا لآراء خبراء التربية وعلم النفس الذين أكدوا بدورهم أن هناك فروقا فردية بين شخص وآخر، فليس لكل إنسان نفس القدرة على استيعاب الجمال وإدراكه وتذوقه، فالتعرّف على الجمال يحتاج إلى طاقة وقدرات وملكات رفيعة، ويرى ذوو الخبرة والاختصاص أن تذوّق الجمال له عدة مفاتيح رئيسة، أهمها:

1- التحلي بالعقْل النشط الناضج، فالعقل الخامل لا يملك القدرة على استشعار الجمال، والإحساس به، وتحديد جوهره، وتذوّقه والتنعّم به.

2- القلب المملوء بالمحبة؛ لأنها أقصر الطرق لإنارة الطريق الدال على مَواطن الجمال.

3- المشاعر المرهفة والعين التي تسعى دائمًا للبحث عن مواطن الجمال، فالإنسان الذي اعتاد أن يقضي حياته بين جدران أربعة لا يدرك صور الجمال من حوله، والذي لا يرى من الحياة غير وجهها الحالك لا يدرك الجمال ولا يستشعره.

4- النفس المتّزنة السويّة المتسامحة ترى الوجود كله جميلاً، وتكون تواقة إلى الخير والحبّ والجمال والفضيلة، غير ميّالة إلى القبح والإضرار بمن حولها.

5- شخصية تتسم بالخبرة الحياتية، وقادرة على الموازنة بين الجانب الروحي والمادّي، وبين الجانب الحسّي والمعنوي.

تنمية المقومات الجمالية عند الأطفال حتى لا تغيب رهافة الروح عند الأطفال:

تعني التربية الجمالية وفقًا للمختصين في علم النفس التربوي والعلاقات الإنسانية جميع السبل والوسائل التربوية لتنمية الحس الجمالي لدى الفرد، وفي ذات السياق أكدت أحدث الدراسات في مجال التربية الجمالية أهمية الأعمال الفنية: كالرسم والموسيقى، وكذلك الأنشطة الأدبية: كالشعر وكتابة القصص لبناء شخصية متوازنة تمارس حياتها إبداعًا وسلوكًا وتطبيقًا، وعلى الصعيد الآخر يصرح خبراء التربية وعلم النفس أن عدم الاهتمام بالتعليم الإبداعي يتسبب في تدمير رهافة الروح، وقد يفضي إلى شخصيات لا تقدر الجمال في كل شيء بما فيها السلوك، إذ لا يستقيم اجتماع العنف والكراهية والإقصاء مع روح تتصف بالجمال والحس الذوقي الرقيق.

> التربية ذوق فني إبداعي لدى الأطفال تستند إلى خطة للتنمية الثقافية

فالطفل في مرحلة تكوين الشخصية فى عمر سنتين أو ثلاث ينطلق في الحياة بروح وثابة، يبتهج بالموسيقى، وينتعش بالألوان منجذبًا إليها، ويمسك الطفل بالقلم فينتشي، يفرح حينما تمنحه ورقة ليمارس عليها فن الشخبطة فتملؤه هذه «الشخبطة» سرورًا، هو طفل في مراحله الأولى من التعلم، وإنجاز أي شيء بالنسبة إليه، هو إنجاز حقيقي حتى لو كان هذا الشيء مجرد خطوط متقاطعة أو متشابكة، ومن ثم وجب علينا تعليم أطفالنا

منذ نعومة أظافرهم كل أنواع الفنون والمهارات الإبداعية: كالرسم والموسيقى؛ لتتحول تلك الشخبطة إلى لوحة فنية، وبذلك نساعدهم على الارتقاء برغباتهم، فتتحول الغرائز إلى قوة إيجابية، ولنردد على مسامعهم عبارة أن الحياة مرآة لنا، وبقدر جمال أرواحنا نرى كل شيء ينطق جمالاً من حولنا.

وخلاصة القول أن تربية الذوق الفني والإبداعي لدى الأطفال تستند إلى خطة للتنمية الثقافية من خلال مراعاة ما يأتي:

- إدراك أهمية الموروثات الشعبية والمصادر الثقافية، ولا سيما الحكايات والقصص؛ لأنها تحمل الخبرة المتوارثة للأمة، وتساهم في تطوير مهارات الإبداع والابتكار.

- الاهتمام بالتقاليد المتعارف عليها للاتصال الثقافي؛ لأنها ينبوع ثري لا غنى عنه لرفع نوعية الذوق لدى الأطفال.

- توفير كل الوسائل المتاحة لتمكين الأطفال من الممارسة الثقافية من خلال تعزيز قنوات الاتصال المختلفة بالطفولة.

ومن أهم أنشطة التنمية الثقافية لأطفالنا إثراء الخبرات المباشرة من خلال الرحلات والنزهات والزيارات وإتاحة الفرصة الكاملة للأطفال بغرض التساؤل عما يدور في مخيلاتهم، وتوفير جو البهجة والتسامح والحرية وممارسة النشاط بالرسم والتلوين والموسيقى والتمثيل والغناء والرقص والقراءة والألعاب الفردية والجماعية وتوسيع خيالات الطفل بسرد القصص والحكايات وعرض الأفلام واقتناء الكتب والقصص والمجلات واللعب والكمبيوتر، علاوة على التفاعل الإيجابي معهم، والتحلي بالصبر في الإجابة عن أسئلتهم، والاستماع إلى آرائهم، وتقدير أفكارهم، واحترامهم، وتقدير ثقافات الشعوب، وتدريبهم على اتخاذ القرار، وإبداء الرأي والتفسير والربط والتعليل والانتقاء، والبعد عن التحيز، وتأمين الأجواء النفسية المناسبة في التعامل مع المحيطين بهم.

المراجع العربية

(1) اسم الكتاب: التفضيل الجمالي – دراسة في سيكولوجية التذوق الفني – المؤلف: شاكر عبدالحميد – التصنيف: علم نفس – عالم المعرفة.

(2) هموم المثقفين للدكتور زكي نجيب محمود – الناشر: دار الشروق: مكتبة الدكتور زكي نجيب – محمود – الطبعة الثانية.

المراجع الأجنبية

(1) https://www.doane.edu/facstaff/resources/cetl-home/arts-are-basic/32485.

(2) https://file.scirp.org/pdf/CE_2014110610064203.pdf.

(3) https://books.google.com.eg/books?id=cyAgV7rdfLwC&dq=making+education+beautiful&lr=&hl=ar&source=gbs_navlinks_s.

(4) The impact of culture on organizational decision – making: Theory and practice in Higher Education.

(5) William G. Tierney.

(6) Stylus Publishing, LLC., 2008.

(7) https://www.jstor.org/stable/1130976.

(8) Causal Reasoning and Inference Making in Judging the Importance of Story Statements.

(9) Paul van den Broek.

(10) Child Development.

(11) Vol. 60, No. 2 (Apr., 1989), pp. 286-297.

(12) Published by: Wiley on behalf of the Society for Research in Child Development.

أ.د. أحمد عارف العساف
جامعة تبوك/ المملكة العربية السعودية

السيارات ذاتية القيادة... عـــلاج وهـمـــي أم حـقـــيـقـــة؟

(رؤية اقتصادية في ميزان الربح والخسارة)

أدّى الارتفاع غير المسبوق لعدد السيارات على الطرق في السنوات الأخيرة والاعتماد الشديد عليها إلى الاحتقان المروري، ومعه زيادة ملحوظة في عدد الحوادث اليومية. وبينما تمت محاولة اختبار وتطبيق عدد من الحلول للتصدي لهذه الظاهرة، بما فيها توسيع الطرق السريعة وإطلاق حملات توعية للجمهور، فإن هناك حلا جديدا في الأفق القريب قد يكون بحد ذاته العلاج الناجع لمواجهة الازدحام المروري والتصدي للحوادث القاتلة على الطرق، ألا وهو: السيارات ذاتية القيادة.

السيارات ذاتية القيادة وعدت بإحداث ثورة في صناعة النقل. حيث يمكن لهذهالسيارات الآلية إعادة تشكيل صناعة السيارات، من تصنيع سيارات الأجرة وسيارات الليموزين والشاحنات. وفي الوقت الحالي، لا تعد تكنولوجيا السيارات ذاتية القيادة جاهزة بعد لاعتمادها على نطاق واسع، ولكن لم يعد هناك أي شك حول قابليتها للاستمرار. العديد من الشركات تتسابق للتنفيذ. حيث بدأت شركة (جنرال موتورز) و(جاغوار) بإنتاج نماذج سيارات ذاتية القيادة. والمطلع الآن على العديد من الدراسات المتعلقة بالأبعاد الاقتصادية للسيارات ذاتية القيادة يصل إلى استنتاج مفاده أنه من المحتمل جدًا أن يكون لدينا عدد كبير من السيارات والحافلات والشاحنات والآليات ذاتية القيادة في مدننا خلال العقد القادم. وسيكون لها تأثير كبير على الاقتصاد والمجتمع ككل. قد تكون السيارات ذاتية القيادة جزءًا من المستقبل، ولكن إذا تم نشرها بنجاح عبر الطرق، فإنها ستكون ثورة لا للسائقين وأنماط المرور فحسب، بل لصناعة النقل ككل.

في هذا المقال سأقوم بدراسة الأبعاد المختلفة مع التركيز على الأبعاد الاقتصادية (الإيجابية والسلبية) لهذه الثورة المنتظرة. ويمكن النظر إلى ذلك من خلال محورين، الأول مرتبط بالإيجابيات، والثاني مرتبط بالسلبيات (إن صح التعبير).

> في هذا المقال سأقوم بدراسة الأبعاد المختلفة مع التركيز على الأبعاد الاقتصادية (الإيجابية والسلبية)

المحور الأول: الإيجابيات المقترنة باستخدام السيارات ذاتية القيادة

بالمقارنة مع عدد لا يمكن إحصاؤه من السلوكيات السيئة التي قد يظهرها السائق وهو خلف عجلة القيادة، فإن الكمبيوتر المثبت في السيارات ذاتية القيادة هو في الواقع سائق مثالي، وحيث إن 81% من حوادث السيارات ناتجة عن خطأ بشري، فإن أجهزة الكمبيوتر ستتولى تماما الكثير من هذه المخاطر. كما أنه لا توجد فرص للكمبيوتر "لأن يكون منصرف الذهن"، وهو سبب رئيسي للحوادث في دول العالمكافة في الوقت الحاضر.

المخاطر والكلف:

وعلى الرغم من أنه ليس من الواضح إلى أي مدى يمكن إنقاذ الأرواح،فإن من الواضح أن السيارات التي يقودها الإنسان تأتي بكلفة عالية للغاية من حيث المخاطر.

سيكون هناك وفورات كبيرة في الكلف مثل كلف التأمين وكلف الرعاية الصحية المرتبطة باسترداد الحوادث. ففي الولايات المتحدة الامريكية مثلا، تقوم وزارة النقل بتخصيص قيمة لكل حياة بشرية تقدربـ9،2 ملايين دولار.

لذلك، إذا استطاعت السيارات ذاتية القيادة تجنب 30،000 وفاة في السنة، فإن هذه الفائدة السنوية تبلغ 276 مليار دولار. وبالإضافة إلى الخسائر في الأرواح، فان مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها قدرت الحوادث المميتة في عام2005بـ41 مليار

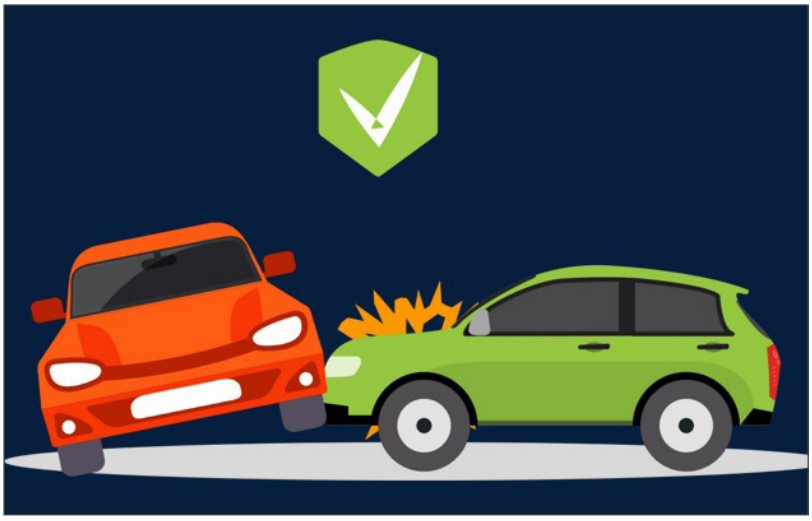

دولار نتيجة الكلف الطبية. لذا فإن الكلفة الإجمالية للحوادث المميتة كل عام تبلغ حوالي 317 مليار دولار.

ثم إن هناك حوادث غير مميتة. تشير تقديرات NHTSA إلى أن هناك 2،362،000 شخص أصيبوا في حوادث السيارات في عام 2012. فمن حيث مفهوم الكلفة-المنفعة، وفقا لوزارة النقل في الولايات المتحدة فإنها تتراوح بين 27،600 لإصابات طفيفة، و432400 دولار للمعتدلة،و5،4 ملايين دولار للخطرة. فإذا أخذنا بعين الاعتبار متوسط كلفة الإصابة بـ80،000 دولار (وهو أيضاً أدنى مستوى للضرر)، فإن ذلك يعني ضمناً كلفة سنوية إجمالية لإصابات الاصطدام تبلغ 189 مليار دولار.ثم هناك حوادث حيث لا يصاب بها أحد. وحيث إن (التعداد السكاني الأمريكي) قدرها بقيمة10،8 ملايين حادث تحطم للسيارات في عام 2009. ولتجنب العد المزدوج، سنفترض أن نصف هذه الأرقام لم يكن قد تم حسابها من قبل في مبلغ الـ2،3 مليون إصابة سابق الذكر و30،000 حالة وفاة سابقة الذكر،فإن هذا يجعل إجمالي الحوادث غير المميتة تصل إلى 226 مليار دولار.

معيار المنفعة المتعلقة بالوقت:

عندما يتولى جهاز الكمبيوتر مسؤوليات القيادة، يمكن للسائقين استخدام هذا الوقت للقيام بأشياء أخرى، مثل اللحاق بالقراءة أو الدردشة مع الركاب، وكل ذلك من دون الحاجة إلى القلق بشأن السلامة على الطرق.كما أشار مقال من Forbes إلى أن هناك توفيرا في الكلف يرتبط بالوقت.

خلال عام يقطع الامريكيون مثلا مسافة تقدرب2،9 تريليون ميل في سياراتهم. هذا ما يقرب من 10000 ميل للشخص في الولايات المتحدة كل عام. إذا افترضنا بحذر شديد أن متوسط سرعة السير هي 60 ميلا في

الساعة، وأن كل سيارة تحمل شخصًا واحدًا، فإن هذا يترجم إلى حوالي 49،6 مليار ساعة يقضيها الامريكي في السيارة، أو 157 ساعة للشخص الواحد في الولايات المتحدة سنويًا. تستخدم وزارة النقل متوسط قيمة التوفير في وقت السفر البالغ 12،98 دولار لتحليل الكلفة والعائد. ولكن ربما يكون هذا مرتفعًا جدًا لهذه الأغراض، نظرًا لأن التواجد في سيارة لا يوفر عليك أي وقت، بل يتيح لك قضاء ذلك الوقت في القيلولة أو القراءة أو أي شيء آخر يمكنك القيام به في سيارتك. لذلك دعونا نفترض متحفظين أن قيمة الوقت الذي يقضيه في القيام بما يريد في السيارة بدلا من عدم القيادة تبلغ قيمتها 15% من قيمة الكلفة – المنافع العادية، أو حوالي 2 دولار في الساعة. هذا يعني توفير مدخرات بقيمة 99 مليار دولار كل عام. ومع الافتراضات الأقل تحفظا مثل متوسط سرعة 30 ميلا في الساعة و 5 دولارات في الساعة من توفير الوقت يمكن أن يرتفع هذا بسرعة إلى 500 مليار.

> يؤدي الازدحام على طرقنا إلى كلف اقتصادية هائلة. للأسف، يتم توزيع هذه الكلف بين العديد من المشاركين في حركة المرور

خفض كلف الازدحام:

وفقًا لشركة..

Eno Transportation، تشارك السيارات ذاتية القيادة بأعداد كبيرة في سلوك يُعرف باسم "platooning"، مما سيحسن بشكل كبير من ظروف حركة المرور والازدحام. وهذا من شأنه أن يساعد على تقليل أوقات تنقل السائقين في المناطق ذات الكثافة المرورية ولكن أيضا ستزيد من استخدام البنزين. وقد وجدت المحاكاة أن حتى نسبة صغيرة من السيارات ذاتية القيادة بين العديد من السيارات التي يقودها الإنسان في الممر تقلل من الازدحام، لأن المركبات ذاتية القيادة تساعد على تحسين تدفق حركة المرور. كما تعمل المركبات ذاتية القيادة على تقليل التأخير النموذجي للسائق العادي عند نقطة توقف الضوء التي تتحول إلى اللون الأخضر، وبالتالي ضمان زيادة عدد السيارات التي يمكنها إيقاف الضوء في إطار زمني معين. لن تجلس المركبة ذاتية القيادة لمدة ثانية بعد أن بدأت السيارة في المقدمة. يمكن زيادة هذا العدد إذا استخدمت السيارة ذاتية القيادة نمط تسريع مُحسّنا عند ضوء توقف. وهكذا، مع زيادة نسبة السيارات ذاتية القيادة، ستزداد سرعة النقل عند الاختناقات التي ستؤدي إلى انخفاض كبير في الازدحام.

اليوم، يؤدي الازدحام على طرقنا إلى كلف اقتصادية هائلة. للأسف، يتم توزيع هذه الكلف بين العديد من المشاركين في حركة المرور والتي هي في الوقت نفسه سبب وضحايا الازدحام. من الصعب إطلاق قوى السوق لإيجاد طرق للحد من الازدحام لأنه من الصعب تحديد أسعار الطرق الخالية من الازدحام ولا يمكننا أن ننسب بشكل صحيح كلف الازدحام إلى أولئك الذين يسببونها ويجعلونها تدفع. يتغير

هذا الأمر عندما تشارك أساطيل السيارات ذاتية القيادة حصة كبيرة من الحركة المحلية لأن هذه الأساطيل تستوعب جزءًا كبيرًا كافيًا من كلف الازدحام.

سيركز مديرو الأساطيل على المحصلة النهائية وسيكون لديهم كل حافز لزيادة عائدهم على رأس المال. سيحاولون التقليل من حجم أسطولهم وتعظيم إنتاجية سياراتهم. بالنسبة إليهم، يترجم الازدحام مباشرة إلى الكلفة. عندما يرسلون سيارة عبر منطقة مزدحمة، يزيد ذلك من كلفة السيارة، ويقلل من فرص العائد، كما يقلل من معدل نقل السيارات الأخرى من الأسطول الذي قد يحتاج إلى اتخاذ نفس الطريق في وقت لاحق. بعد بضعة أشهر من العمليات، ستتمكن وحدات التحكم في الأساطيل من تحديد مقدار ما يمكن أن تتحسن به أرباحها في النهاية إذا كان من الممكن تحسين معدل الإنتاج في عنق زجاجة معين بنسبة قليلة. وقد وجدوا أن العديد من الاستثمارات في البنية التحتية، وطرق التوجيه، وما إلى ذلك، سيكون لها عائد إيجابي لأن كلفها (من أنشطة تقليل الازدحام) أقل من فوائدها (زيادة إيرادات الأسطول، حجم الأسطول المنخفض (مخزون رأس المال).

> "المركبات الذاتية المشتركة يمكن أن تزيد المساحة الحضرية المتاحة بنسبة 15 إلى 20 في المائة

من المنظور الاقتصادي، تجمع أساطيل السيارات ذاتية القيادة المتجمعة متطلبات التنقل والتأثيرات المرتبط بالازدحام لمجموعة كبيرة من العملاء. يسمح هذا التجميع للأسطول بالعثور على طرق أفضل بكثير للتعامل مع الازدحام – مع الأخذ في الحسبان تفضيلات زبائنه فيما يتعلق بالكلف المرتبطة بالازدحام، والآثار المحققة من المسارات المختلفة وحلول التنقل والآليات الداخلية أو الخارجية التي يحتمل أن من كلف الازدحام. سيفهم الأسطول بوضوح شديد (ويمكنه تحديد مقدار تأثيره وتأثير كل من رحلات عملائهم على الازدحام. على النقيض من السائق الفردي في طريقه إلى المكتب صباح اليوم، الذي لا يبالي بنصيبه في صنع الازدحام ويريد ببساطة أن يسلك أسرع مسار، فإن الأسطول لن يهتم بسرعة الرحلة الفردية بل سيسعى إلى أن يتم توجيه الرحلات بطريقة بحيث يعظم الإنتاجية لكل سياراتهم. أهداف الأسطول فيما يتعلق بالاختناق تتماشى إلى حد كبير مع هدف المدينة ككل: يتم زيادة الإنتاجية إلى أقصى حد.

هذه الحجة قد تبدو أكاديمية. لكن التأثيرات ستكون حقيقية للغاية. الأساطيل الصغيرة لن يكون لها تأثير كبير على المدن. ولكن بمجرد أن تعالج الأساطيل نسبة كبيرة من الحراك المحلي، سيكون لديهم أفضل معرفة حول أنماط المرور والازدحام في المدينة. ستزودهم سياراتهم بمعلومات مفصلة عن حركة المرور الدقيقة في جميع أنحاء المدينة. وسيقودهم المبرر الاقتصادي إلى بناء نماذج

معقدة لتدفق حركة المرور والبحث عن طرق يمكن من خلالها تحسين الإنتاجية وسيكون بإمكانهم الإشارة بوضوح إلى الأساليب التي يمكن أن تؤدي بها مناطق المدينة إلى مستوى تخفيض الازدحام. وسيعملون مع المسؤول المعني في المدينة لتحسين البنية التحتية للإشارات، وسوف يكونون مستعدين للاستثمار في تلك البنية التحتية (إذا كانت الكلفة أقل من فوائد تخفيض الازدحام). كما ستبحث الأساطيل عن طرق لتحويل الطلب على التنقل (بحيث يقوم بعض الأشخاص بتأجيل رحلاتهم إلى غير أوقات الذروة) وتقليل كلفة الازدحام لكل رحلة من خلال الجمع بين الرحلات (من خلال المشاركة في الرحلة أو باختراع متغيرات جديدة لمشاركة الرحلات).

مساحات متاحة أكبر:

تتيح أجهزة الاستشعار الموجودة في السيارات المستقلة للسيارات الاقتراب من بعضها البعض، مما يتيح المزيد من السيارات على الطريق مع حركة مرور أقل. كما ستكون هناك حاجة أقل إلى مواقف للسيارات، حيث يمكنك النزول من السيارة حيثما تريد، ثم ركنها في مواقف السيارات بعيدًا. وأظهرت دراسة بريطانية حديثة متعلقة بالآثار التحولية للمركبات ذاتية القيادة على المدن أن المركبات الذاتية المشتركة يمكن أن تزيد المساحة الحضرية المتاحة بنسبة 15 إلى 20 في المائة، وذلك إلى حد كبير من خلال القضاء على أماكن وقوف السيارات. اليوم، يوجد في وسط لندن حوالي 6.8 ملايين مكان لوقوف السيارات وتغطية مواقف للسيارات تبلغ حوالي 16%؛ يوجد في العديد من المدن الكبرى نسب تغطية أكبر لمساحة انتظار تصل إلى 30%. ومن شأن تحرير هذا الفضاء أن يجعل مدننا أكثر خضرةً، وأن تزيد من جودة الحياة، وأن تخلق أيضًا إمكانات سكنية إضافية.

ووفقًا لتقرير جديد من شركة الاستشارات McKinsey. فـإن التكنولوجيا ستحرر في المستقبل كميات هائلة من أماكن وقوف السيارات، وتقلل من حوادث السيارات، وتعطي الناس المزيد من الوقت لاستهلاك البرامج التلفزيونية والأفلام والوسائط الرقمية. سوف المركبات المستقلة أيضا تغيير الطريقة التي نؤمن بها أنفسنا وتدمير وظائف في صناعة الخدمات اللوجستية.

يقدم التقرير، الذي تم إصداره مؤخرًا في معرض جنيف للسيارات، عشرة توقعات استنادًا إلى مقابلات مع أشخاص في تصنيع السيارات وخارجها. من المفهوم الأساسي أن القيادة المستقلة ستكون مدمرة بشكل كبير بحلول منتصف القرن، سواء كان ذلك من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية. في المرحلة الأولى من التغيير، حتى عام 2023، تتوقع شركة McKinsey أن ترى سيارات مستقلةفي بيئات خاضعة للرقابة (مثل المناجم) وفي بعض وسائل النقل التجارية. ستضطر الشركات المصنعة إلى اتخاذ موقف واضح بشأن مستقبل سيارات مستقلةأو خطر تركها وراءهـا. في المرحلة التالية، حتى عام 2037 تقريبًا، سنبدأ في رؤية بطاقات الفيديو المعتمدة بشكل كامل. سيكون لذلك عواقب على صناعة التأمين. "قد تكون هناك حاجة لشركات التأمين لتحويل هدفها الرئيسي من تغطية العملاء من القطاع الخاص من المخاطر المرتبطة" خطأ بشري "لتغطية (المصنعين) ومقدمي الخدمات المتنقلة ضد "الفشل التقني"، كما تتوقع شركة McKinsey. بعد ذلك، تبدأ الأمور في إثارة الاهتمام. تتوقع شركة McKinsey إننا سنحصل على 50 دقيقة إضافية يوميًا للعمل أو الاسترخاء لأننا لن نضطر إلى القيادة بأنفسنا في مكان ما (يشبه نوعًا ما مستخدمي النقل العام). وسيكون لدينا 61 مليار قدم

مربع إضافي من أماكن وقوف السيارات، وذلك جزئيًا لأن المركبات ستتوقف بشكل متقارب.

منافع أخرى...

من أجل أن تعمل السيارات بكفاءة أكبر، فإنها تحتاج إلى التواصل مع بعضها البعض، مما يساعد على تحديد مشاكل المرور أو مخاطر الطرق في وقت مبكر.

يمكن للأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة، الذين يعتمدون على وسائل النقل العام أو المساعدة من الآخرين لغايات التجول، أن يجنوا فوائد السيارات ذاتية القيادة مع حرية جديدة وحركة معززة، كما اقترحت صحيفة نيويورك تايمز. وتشير التقديرات إلى أن الأفراد البريطانيين ذوي الحركة المحدودة يمكنهم زيادة أرباحهم بمقدار 8500 جنيه إسترليني سنويًا في المتوسط.

تعاني المدن الكبرى من مشكلة توفير وسائل النقل العام الكافية. كثيرون منهم يفتقرون إلى البنية التحتية المناسبة لدعم احتياجات سكانهم، وهو فراغ يمكن ملؤه جزئياً بواسطة سيارات ذاتية القيادة.

بمرور الوقت، قد يتم اعتبار حدود السرعة الأعلى كخيار إذا كان عدد أكبر من الناس يستخدمون السيارات ذاتية القيادة. نظرًا إلى أن أجهزة الكمبيوتر تحسب تشغيل السيارة بأمان، يمكن تقليل وقت القيادة عن طريق سرعات أعلى مسموح بها على الطريق.

تهتم الشركات دائمًا بتطوير المنتجات الجديدة ودفع الصناعة إلى الأمام، كما تشير إلى ذلك العديد من الشركات السبع التي طلبت تصاريح لتطوير السيارات ذاتية القيادة.

بالتأكيد ستنخفض حوادث القيادة نتيجة حالات السكر، لأنه ليس هناك حاجة إلى سائق معين عندما تقود السيارة نفسها.

يمكن استرداد المدخرات الضخمة من الإنفاق على مشاريع النقل الجماعي القديمة مثل القطارات.

> ستنخفض حوادث القيادة نتيجة حالات السكر، لأنه ليس هناك حاجة إلى سائق معين

يمكن تحويل تركيز ضباط الشرطة من كتابة المخالفات المرورية ومعالجة الحوادث إلى إدارة جرائم أخرى أكثر خطورة.

عدم الحاجة إلى إصدار رخصة للقيادة ودفع مبالغ لها، لأن الناس لن يحتاجوا إلى رخصة قيادة متخصصة لتشغيل السيارات.

عدم القلق من قيام أحد الأبناء المراهقين من سرقة مفتاح السيارة والتجول بها بدون رخصة!!!

المحور الثاني: المعوقات والسلبيات المقترنة باستخدام السيارات ذاتية القيادة

ولكن بالرغم من ذلك فإن اعتماد السيارات ذاتية القيادة سيخلق العديد من المصاعب والعوائق والتي تعتبر من سلبيات هذه الثورة،

فمجرد امتلاك القدرة على تشغيل سيارة ذاتية القيادة يتطلب تعليمًا من جانب السائق، وفقًا لـ Teletrac في حين أن الكمبيوتر يتولى مهمة تشغيل السيارة، سيظل السائق مطالبًا بالحفاظ على بعض المعرفة حول كيفية تشغيلها بأمان. كما أن كلفة تنفيذ التكنولوجيا الجديدة بعيدة المنال بالنسبة إلى معظم الناس. في الوقت الحالي، تضيف المتطلبات الهندسية، والقدرة، والكمبيوتر، والبرامج، وأجهزة الاستشعار ما يزيد على 100000 دولار.

كما يعتقد البعض أن معظم الوفورات من حيث الكلفة والوقت والحياة عند "المزيد من الأشخاص" ستأتي من الاشتراك في الخدمة. لكن إذا لم يتم اعتماد السيارات ذاتية القيادة على نطاق واسع، يمكن أن تحدث الحوادث وستظل كذلك. وهنالك تخوف من أن الأمن الذي يكمن وراء السيارات ذاتية القيادة قد يشكل عقبة رئيسية، خاصة، لأن التكنولوجيا ستكون ذات فائدة كبيرة للقراصنة، كما أشار إليها الغارديان.

السيارات ذاتية القيادة وشبح البطالة:

على الرغم من وجود مخاوف بشأن الطبيعة المناسبة للنقل العام، فإن السيارات ذاتية القيادة ستقضي على العديد من الوظائف في قطاع النقل،وخاصة عندما يتعلق الأمر بنقل البضائع وسائقي سيارات الأجرة. هذا يمكن أن يكون له تأثير سلبي على معدل البطالة والاقتصاد. كما يعتقد مورغان ستانلي أن الحكومات الأمريكية قد تخسر 1،3 مليار دولار أمريكي من مصادر الإيرادات مثل رسوم مواقف السيارات. كما تأخذ خسارة الإيرادات المتوقعة هذه في الحسبان أيضًا عددًا أقل من رسوم التسجيل، حيث من المتوقع أن تخفض الأسر الأمريكية من ملكية السيارة من 2،1 سيارة غير آلية إلى 1،2 سيارة بدون سائق، في المتوسط. وتشير دراسة جامعة كولومبيا إلى أن شركة Uber ستحتاج فقط إلى 9000 سيارة مستقلة لاستبدال جميع سيارات الأجرة بالكامل في مدينة نيويورك، حيث يتعين على المستهلكين الانتظار لمدة 36 ثانية فقط في المتوسط.

وتقدر شركة McKinsey and Company أن شركات النقل بالشاحنات يمكن أن توفر ما يصل إلى 500 مليار دولار سنوياً بحلول عام 2025، حيث توفر الشاحنات الآلية طرودًا وطعامًا وكل شيء بينهما. سوف تؤدي هذه الوفورات أيضًا إلى انخفاض كلفة بعض السلع، مما يؤدي إلى زيادة التصنيع.

ومع ذلك، فإن غالبية هذه الوفورات سوف تأتي من انقراض سائقي الشاحنات، حيث إن السيارات التي تعمل بدون سائق ستجعلهم عاطلين عن العمل. ويمكن التنبؤ بنفس الشيء بالنسبة إلى سائقي الحافلات وسائقي سيارات الأجرة وحتى سائقي الترام هنا في ملبورن، مما يزيد من الضغط على مزايا البطالة، على الأقل في المدى القصير.

السيارات ذاتية القيادة والطاقة:

من المرجح أن تعاني صناعة البنزين، لأنه من المرجح أن السيارات ذاتية القيادة ستكون كهربائية الطاقة. إذا كانت السيارات ذاتية القيادة تعمل بالكهرباء أو الغاز سيكون لها تأثيرات متفاوتة على الاقتصاد. عموما إذا

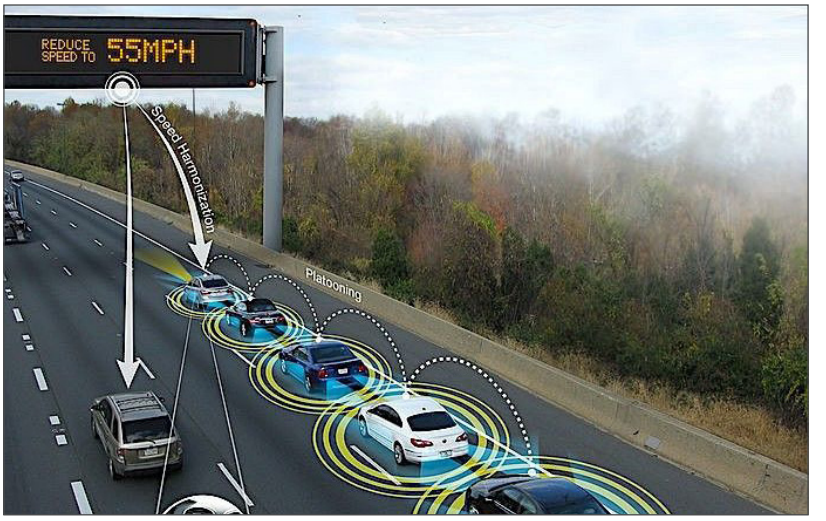

كانت السيارات تعمل بالغاز، فإن ضريبة الوقود ستولد المزيد من الإيــرادات. أمـا إذا كانت كهربائية،فسوف تنخفض الضرائب وتختفي تمامًا. كما سيكون لسيارات القيادة الذاتية تأثير عميق على البيئة - ولكن مـا إذا كان ذلك للأفضل أو للأسوأ يعتمد على الخيارات التكنولوجية والسياساتية التي لم يتم اتخاذها بعد. يمكن أن تخفض المركبات الآلية استهلاك الطاقة في النقل بنسبة تصل إلـى 90%، أو تزيدها بأكثر من 200%، وفقًا لبحث من وزارة الطاقة (DOE). هذا الاختلاف مهم - أكـثر مـن ربـع انبعاثات غـازات الاحتباس الحـراري تأتي من قطاع النقل، وفقا لوكالة حماية البيئة (EPA).

السيارات ذاتية القيادة والتكنولوجيا:

لا يـزال التطوير الكامل للسيارات ذاتية القيادة يثير الكثير من الأسئلة والمخاوف نيابة عن السائقين، لذلك من غير الواضح كيف يمكن أن يكون الاعتماد الكامل للتكنولوجيا، فلكي يتمكن جهـاز الكمبيوتر مـن تشغيل السيارة، يجب تخزين الكثير من المعلومات على البرنامج. يشعر بعض الأفراد بالقلق حيال فرصة وجود جهاز كمبيوتر مدمج في السيارة ذاتية القيادة لجمع البيانات الشخصية. أما إذا فشلت التقنية، مثل إشارات المرور التي تعتمد عليها السيارات، فلا يوجد أي حساب لإشارات المرور البشرية. في حالة وقوع حادث، على سبيل المثال، حيث يقوم ضابط شرطة بتوجيه حركة المرور، لا تستطيع السيارات تفسير الإشارات البشرية. كما أن العديد من الأفراد يصيبهم التـوتر حين يتم تسليم السلطة إلـى جهاز الكمبيوتر، الأمر الذي قد يتسبب في خلل وضع السائق في وضع أكثر خطورة مما لو كان السائق يدير السيارة بنفسه.

ويعتمد نجاح السيارات ذاتية القيادة حاليًا

على أنظمة رسم الخرائط الدقيقة من خلال نظام تحديد المواقع العالمي. ولكن أجهزة GPS ليست دقيقة دائمًا. فهناك مخاوف أمنية حول السيارات ذاتية القيادة أيضًا. يقول مدير أبحاث أنظمة المعلومات والترفيه وأنظمة مساعدة السائق المتقدمة في مجموعة الأبحاث المعروفة باسم IHS Automotive، EgilJuliussen، إن "أنظمة الإلكترونيات في السيارات لا تملك حاليًا إجراءات أمنية وهي محدودة أو محدودة جدًا".

ومن غير الواضح كيف ستقوم السيارات ذاتية القيادة بالمناورة من خلال المخاطر مثل حواجز الطرق أو قوانين القيادة المحلية الفريدة. مثل الفرق بين الدول فيما يتعلق بالالتحاق بالخط ذي اللون الأحمر. قد تواجه أجهزة الكمبيوتر صعوبة في تحديد القواعد المحلية والخاصة الختلفة فيما يتعلق بالطريق. فالإنسان أفضل في تفسير بعض المشاهد النادرة.

السيارات غير قادرة على العمل على مستوى عال من السلامة في جميع الظروف الجوية. في الواقع، يمكن للأمطار الغزيرة أن تلحق أضرارًا خطيرة بمستشعر الليزر المثبت على سقف السيارة، مما يشكك في الدور الذي قد يضطر السائق إلى لعبه في حالة فشل التقنية.

> "بمرور الوقت، لم يعد السائقون مجهزون بمهارات تشغيل السيارات. في حالة حدوث خلل أو استدعاء في التكنولوجيا

معادلة صناعة السيارات:

تغيرات المعادلة لصانعي السيارات الذين يبيعون كميات كبيرة من السيارات: مع وجود قرن من الخبرة في إدارة وخفض الكلف،

سيبحث صانعو السيارات عن كل طريقة يمكن أن يجدوها لخفض سعر تكنولوجيا السيارات ذاتية القيادة وإحالة الهوامش.وكلما كان حجم المبيعات أكبر، كان الحافز لإيجاد حلول أخرى أكثر فعالية من حيث الكلفة. وحتى إذا وافقوا في البداية على أن يكونوا مصدرًا للبرامج الثابتة والقوة الذاتية ذاتية القيادة، فإنهم سيعملون بجد لتقليل اعتمادهم عليها. وسيجدون العديد من الطرق لتقليص حجم وحدة السيارة ذاتية القيادة الخارجية: فهم يريدون أن يتم دمج المستشعرات في السيارة -بدلاً من المجيء إلى منصة القيادة الذاتية- وسوف يرغبون في الحصول عليها بشكل مستقل.وكذلك سوف يطالبون ببناء وتجميع الواجهة بين وحدة القيادة الذاتية ومركباتهم وسوف يقاتلون من أجل توحيد وتولي بعض هذه الوظائف، حتى يتمكنوا من السيطرة عليها. سيكون هناك معارك حول الوصول إلى البيانات، عبر التحكم في الواجهة مع المستخدم. وسيكون من الصعب على مزود النظام العالمي للقيادة الذاتية التغلب على جميع تلك المطالب مرة أخرى؛ لأن لدى مصنعي المعدات الأصلية خبرة ومعرفة بالسوق ونماذج سياراتهم،ولديهم حالات استخدام خاصة في مختلف القطاعات التي لا يعرفها مقدمو الوحدات ذاتية القيادة، لا تملك، وبالتالي لا يمكن تنفيذها بسهولة بشكل مستقل. إذا كان مزود منصة تكنولوجيا SDC لا يمكنه فرض سيطرة دائمة وممتدة على كامل نطاق النظام الأساسي للقيادة الذاتية (حظر مصادر المكونات الجزئية، مع الاحتفاظ بجميع التعديلات على المنصة تحت سيطرتها الخاصة (حتى تلك التي تم تطويرها في سياق علاقة عميل معينة) وما إلى ذلك، وتجنب أي استبدال للوظائف من قبل الشركة المصنعة للمعدات الأصلية، من المرجح أن يتدهور مركزه وقوة هوامشه بشكل ملحوظ مع مرور الوقت. وعلى الجانب الآخر، فإن الشركة المصنعة للمعدات الأصلية تخاطر بفقدان موقعها المركزي الراسخ في السوق إلى الوافد الجديد الذي يتحكم الآن في "قلب" السيارات. إن الامر اذا يتميز بعلاقة غير مستقرة وغير مستقرة إلى حد كبير وتنافسية بين اشريكين حيث يحاول كل منهما باستمرار تعزيز وضعه على السلطة على حساب الطرف الآخر.

معوقات أخرى:

لا تزيل السيارة ذاتية القيادة بالكامل من احتمال وقوع حادث سيارة. في الواقع، لا توجد سابقة قانونية لكيفية التعامل مع القضية. السؤال الصعب من يتحمل المسؤولية في حادث سيارة، السائق؟ الشركة المصنعة للسيارة؟ مطور البرامج؟ يمكن أن يكون من الصعب الإجابة.

قد يعني الاعتماد على التكنولوجيا أنه بمرور الوقت، لم يعد السائقون مجهزون بمهارات تشغيل السيارات. في حالة حدوث خلل أو استدعاء في التكنولوجيا، قد يكون السائقون عاجزين عن الالتفاف، بعد أن كان "خارجا عن الممارسة" في عالم القيادة لبعض الوقت.

قد يشهد محامو الإصابات الشخصية انخفاضًا في أرباحهم إذا كانت السيارات ذاتية القيادة أكثر أمانًا بالفعل وتقلل من عدد الحوادث على الطريق.

مستقبلا ستكون السيارات متصلة ببعضها عن طريق شبكة بيانات معلوماتية

سوف تفقد المراكز التدريبية للسائقين أرباحها وتخرج من العمل لأنه سيكون هناك حاجة أقل إلى تثقيف الناس بكيفية القيادة.

من غير المرجح أن يشتري الأشخاص الذين يستمتعون بالقيادة هذه التكنولوجيا التي تعني أنهم لم يعودوا بحاجة إلى التركيز خلف عجلة القيادة، لذا فمن المرجح أن يحتفظوا بمركباتهم الخاصة بدلاً من التداول في مركبة ذاتية القيادة، سوف تنمو التجارة الإلكترونية. وبالتالي فإن تجارة التجزئة سوف تعاني. مثل إغلاق محلات السوبر ماركت.

وخلاصة الأمر، أن السيارات التي تعمل بدون سائق ستخلق تغييرًا كبيرًا في الاقتصاد العالمي – وكما هو الحال مع جميع المتغيرات، سيكون هناك الكثير من الفائزين والخاسرين. فاليابان تستعد الآن لاختبار نظام القيادة بدون سائق على الطرق العامة خلال هذه السنة، إذ تم الكشف عن هذه الخطة خلال استعراض حكومي برئاسة رئيس الوزراء شينزو آبي، بهدف إطلاق الخدمة علنا بأوليمبياد 2020 فى طوكيو، وستعمل الحكومة فيما بعد على تسويق نظام السيارات بدون سائق بحلول عام 2022.ووفقا لموقع Cnet الأمريكى، تعاونت مجموعة SoftBank اليابانية مع شركة جنرال موتورز لتطوير سيارات ذاتية القيادة، مع استثمار بقيمة 2،25 مليار دولار في شركة GM Cruise Holdings وهو قسم التكنولوجيا ذاتية في شركة صناعة السيارات في ديترويت.

أعتقد أنه عندما ينقشع الغبار، يمكن أن تضيف ما يصل إلى 7 تريليون دولار إلى الاقتصاد العالمي! وعلى الرغم من العيوب المحتملة، فإن السيارات التي تعمل بدون سائق ستجعل حياتنا المستقبلية أكثر ذكاءً وأكثر أمانًا وراحة، وأنا شخصيا لا أستطيع الانتظار حتى ظهور هذه الكائنات الجديدة.

المراجع

(1) Parker, R. G. (2015, June 11). How will self-driving cars affect the economy? GAA Accounting. Retrieved from http://www.gaaaccounting.com

(2) Muoio, D. (2016, May 17). 6 ways driverless cars will transform the economy. Business Insider. Retrieved from https://www.businessinsider.com

(3) S. (2016, October 28). Impact of Autonomous vehicles on the economy. Useoftechnology.com. Retrieved from http://www.useoftechnology.com/

(4) Shafroth, F. (2017, January). Breaking Down the Financial Impact of Self-Driving Cars. GOVERNING. Retrieved from http://www.governing.com/

(5) Tovey, A. (2017, March 30). Self-driving cars could lend '£8bn boost to UK economy'. The Telegraph. Retrieved from http://www.telegraph.co.uk/

(6) Barbier, J. (2017, May 3). Self-driving cars will disrupt more than the auto industry. Here are the winners and losers. CNBC. Retrieved from www.cnbc.com/

(7) Marshall, A. (2017, June 3). Robocars Could Add $7 Trillion to the Global Economy. WIRED. Retrieved from https://www.wired.com/

(8) Fairs, M. (2015, 25 November). Driverless cars could spell the end for domestic flights, says Audi strategist. Dezeen. Retrieved from https://www.dezeen.com/

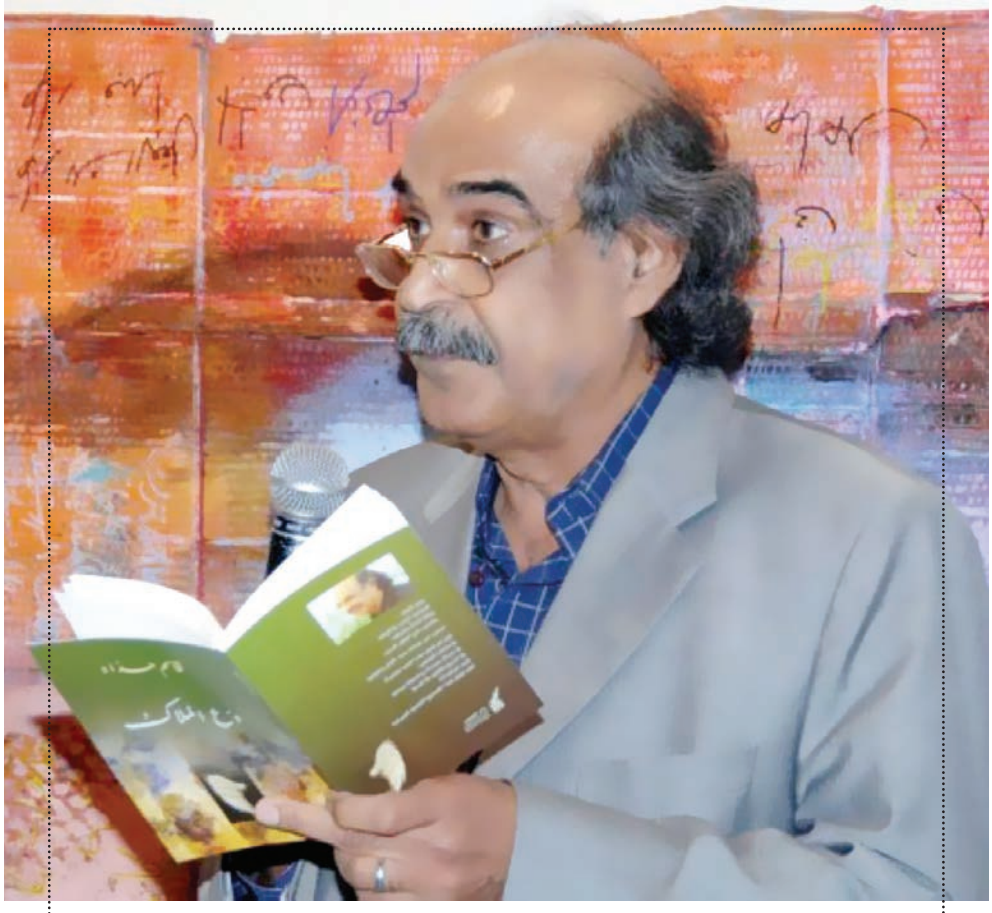

قاسم حداد

لا تصقلْ أصفادك.. اكسرْها

(شذرات في اللغة)

١

لا أحد يكترث باللغة بالقدر الذي يتطلبه الشعر.

أنت لا تستطيع إنجاز الماء بغير ما يكفي من الأوكسجين.

٢

في الشعر، تذهب إلى القاموس،
لا لتأخذ عنه، لكن لتضيف إليه الكلمات.

٣

اللغة ملكة جمال الكتابة، وأنت وصيفها الأول.

٤

إنها تحب الفرسان، وتعشق المقاتلين البواسل.

٥

لستَ عبداً في حضرتها، سيدتك، تمنحك التاجَ والصولجان.

٦

لستَ نعشاً في جنازة، أنت كاتب،
والأبجدية وشاحك في كنيسة العرس.

٧

فيما تكتب،
يتسنى لك تقدير الأهم،
الرسالة أم عنوان البريد؟!

٨

المنطق في اللغة، يحدث بعدها.
الصنيع الموسيقي يبتكر الدلالات، فيأتي المعنى.

٩

المخيلة النشيطة، هي أيضاً المنحنى العاطفي للغة ساعة العمل.

١٠

في الكتابة الأدبية، ستخفق في التفكير إذا كنت تقصر عن فهم اللغة.
الشعر يتطلب الإحساس بالجماليات اللغوية لأجل ابتكار الصورة.

١١

شديد الملاحظة اللغوية، يكون أكثر صرامة في الصورة الشعرية.

١٢

ارفعْ عن اللغة العربية قداستها، ليستْ كذلك.
القرآن جاء بعدها بزمن وتجاربَ طويلة.
تقديس اللغة يعمل على تَعفنها.
الشعر لا ينشأ من العفن.

١٣

أي صانع، في سبيل تأكيد وجوده قبل كل شيء،
يتوجب أن يخلق أدواته، لغته.
الشاعر، هو أيضاً، يبدأ بأداته، اللغة، لغته.

١٤

فيما تعمل على ابتكار اللغة وخلقها في النص، تقوم بتحريرها من المعاجم.
المعنى السابق أصفادٌ تحجب الكلمة عن احتمالاتها.

١٥

لغتك هي ذاتك، أنت تنظر الى الموضوعات من خلال هذا المجهر الذي يحفظ لك كيانك، ولا يخذل صلتك الحيوية بالكون.

١٦

الوعي يتخلّق بفعل العقل النقدي الذي يرشح في لغتك وهي في ورشة النص.
لا تكون اللغة فعّالة بمعزل عن الرؤية النقدية. لغتك هي أسئلتك.

١٧

مساران يمنحان لغتك حيويتها: التهكم والريبة.
لين العريكة، والتخلي عن الصرامة، مبالغة في تدليل اللغة،
كما أن الاطمئنان والثقة يجعلان اللغة

تابعاً، متخلية عن القيادة.

١٨

الطبيعة هي فلسفتك، لكن الكون هو غابتك الصغيرة في الطريق العتم.

يتوجب البحث عن الضوء من دون الامتثال للفيزياء.

تلك هي الكتابة.

١٩

لا تصقلْ أصفادك.. اكسرْها.

٢٠

«عين» الفراهيدي تنظر إليّ، فيما أرى.

٢١

المعرفة قنديلك الصغير في ردهة اللغة.

٢٢

قانون الطبيعة لا تسعفه الفطرة،

اللغة ليست فطرة،

إنها خبرة المعرفة التي يحتاج إليها الإنسان لكي يتكلم ويكتب ويمحو.

مثل زجاج المرآة يظل بحاجة إلى الزئبق النبيل لكي يرى.

٢٣

سيتاح لنا القول الآن، إن الكتابة الشعرية، بتحولاتها اللغوية في القرون الأخيرة، ساعدتنا على اكتشاف المفاهيم في كتاب أرسطو عن «الشعر".

فالتجربة تشرح النظرية.. أحياناً.

٢٤

تقويض الكنيسة يتطلب آلهة جديدة، مختلفة.

٢٥

لا تبتعدوا كثيراً عن الفلسفة، الوحشة تقتل الشعر وحده.

٢٦

الشعر، فيما هو شعر،

لا ينبغي أن يكون واضحاً مثل الشمس.

الغيوم أكثر جمالاً في واضحة النهار.

٢٧

الاقتراب من البحر يجعل الشعر أكثر زرقة.

٢٨

الآن، أصبح الشعر أسرع من الكتاب، لأول مرة في تاريخ البشرية تتجاوز الكتابة شروط الطبع والنشر والتوزيع التقليدية. صارت الكتابة تذهب مباشرة من الشاعر إلى القارئ. وبهذا يتحول النسق، جذرياً.

لتكُن الكتابة متحررةً من الزمن وتخترق المكان في نفس اللحظة.

ماذا سيقول الشعر بمعزل عن التاريخ والجغرافيا؟

٢٩

التصحيح التاريخي الحاسم للغة العربية هو الشعر الجديد،

الذي ينفجر خارجاً من القالب.

منذ منتصف القرن العشرين، ولا يزال، يفعل الشعر ذلك.

٣٠

لو أن مجامع اللغة العربية أخلصت لحركة اللغة العربية في المائة سنة الأخيرة، لتضاعف حجم معجم العربية، وازداد جمالاً.

٣١

يكتب الشاعر، ليدرّب الآلهة على الصلاة.

٣٢

فيما تبدع، أنت لا تقلّد شيئاً تعرفه.

اللغة تكتب لك ما تتخيله.

مخيلة اللغة جزءٌ من إنجاز الإبداع.

٣٣

ها نحن المرضى بلا دواء،

علاجنا في عناية الشعر القصوى،

تصنعون نصوصكم بلامبالاة عارمة،

وهذا لا يليق.

ترجمة: عبدالقادر عقيل
قصة الكاتب الهندي: بالجندرا نيماد

الشرنقة

لا أحدَ يتمنّى أن يموتَ وهو في الخامسة من عمره. المسألة الآنَ، لماذا يولدُ طفلٌ إذا كان سيموت في الخامسة؟!

كنتُ غارقاً في لُجّة الحزن حينما ماتتْ أختي، التي كانت في الخامسة من عمرها، لو أنّ جدّتي هي التي ماتتْ عوضاً عنها، كان يكفيني بعض الوقت لأعتاد على فراقها، لو أنّ (ماني)، أختي، ماتتْ فيما بعد، ما كنتُ هكذا مليئاً بالشجو والأسى.

(ماني) أوّل شخص يموت من عائلتنا بعد أربعين سنة من وفاة جدي.

من يكبتُ أحزاني؟

لم أكن في البيت وقت موتها، كنتُ هنا في (بونا) أعيش في سكن الجامعة، وهذا ما زادني حزناً، إلى الحد الذي بدأتُ ألفتُ أنظار الطلبة، وأثير أسئلتهم، لكنني لم أخبرهم عن موت (ماني)، وهذا ما جعلهم يقولون لي: "اصغ جيداً، أنشوطة الحزن ستلتفُّ حول رقبتك، ويوماً ما ستخنقك، ليس هناك من سبب يدعوك إلى كل هذا".

لكنّ هناك سببٌ قوي لأحزاني، سببٌ يجعلني أتألم طول الوقت. فعائلتنا لم ترزقْ إلا ببناتٍ من بعدي، وكُنَّ أربعاً.

وحتّى بعد أن كبرتُ، لم يكن والداي يلبيان طلبي في شراء قميص جديد لي.

كنتُ دائماً أضرب الأرض بيدي وقدمي وأبكي بشدة وأقول:

"أنا ابنكما الوحيد، وأنتما لا تهتمان بي أبداً".

فيقول أبي:

"لا تعتقد أنّكَ بهجتنا الوحيدة، سيكون لنا أبناءٌ كثيرون".

لكن حتى يوم أمس لم يرزق إلا ببناتٍ، وبقيتُ أنا الابن الوحيد له.

في عائلتنا، البنات يطبّقنَ التقاليد الهندية الأصيلة، فلم يكن يلححن كثيراً في الحصول على أي شيء، كما أن من واجب الأخت الكبرى أن تقوم بتمشيط شعر الأخت الصغرى، وعليها أن تنظفها، وعليهنّ جميعاً أن يؤدين أيّ عملٍ تطلبه الأم منهن.

وبحسب تقاليدنا المعروفة، فإنّ الأخوات يجب أن يعتنين بأخواتهن، والإخوان يجب أن يدفعوا مصاريف تعليم إخوانهم، وعلى الأخ الأكبر أن يزوّجَ أخواته اللائي يصغرنه.

تقاليد بائدة، لكنها تطبق في عائلتنا، وهذا ما سبب عدم رؤيتنا لأختنا (سومي) بعد زواجها، فهي لم تزرنا ولا مرة واحدة.

لكنّ أن تموت (مانوتي)، هذا ما لم أصدقه.

كانت فتاة هادئة جداً، هادئة في عملها، في سلوكها اليومي، في الطريقة التي بها تغني، في خطواتها وهي تذهب إلى المدرسة.

كثيراً ما كانت أمي تقول:

"هذه البنت لا عقل لها".

إذا شخص ما كسر زجاجة القنديل الذي في الحمام أثناء تنظيفه، تصرخ أمي قائلة:

"ماني، قفي مكانكِ أيتها العفريتة الصغيرة".

فترد (ماني) من مكانٍ آخر بالبيت قائلة:

"أمي، لست أنا، أنا أكنس حوش البيت".

إذا شخص ما دلق قدر الحليب، يعلو صوت أمي:

"لا بد أن (ماني) فعلتها".

ولأن في كل مرة تلد أمي بنتاً، لذا، حين جاءت (ماني) إلى الدنيا كانت جدتي ضجرة تماماً، إضافة إلى أن عليها تدبير أمور البيت كله والاعتناء بأمي.

كانت كثيراً ما تحكّ ظهر (ماني) الصغيرة بعنف أثناء استحمامها. وذات مرة، نسيتْ أن تضيف الماء البارد إلى الماء الحار، وأنزلت رأس (ماني) عبر ساقيها، فوجدت أن الماء ساخنٌ جداً، فقالت: "هل من الضروري أن أعيدها إلى مهدها، ثم أضيف الماء البارد إلى الماء الساخن، ثم ألبسها ثيابها ثانية وأضعها في فراشها". فما كان منها إلا أن دفعت برأس (ماني) في الماء الساخن جداً، ومع صراخ (ماني) ركضت أمي، وغمست أصبعها في الماء، وقالت والدموع في عينيها:

"أرجوكِ قومي من هنا، أنا سأحممها".

حين سمعت جدتي ذلك ألقت (ماني) بعنف على الأرض وقالت:

"على الأم ألا تكون فخورة بابنتها إلى هذا الحد".

لم تكن أمي حنونة على (ماني) كثيراً، فقبل أن تلدها كانت تقول:

"سيكون هذه المرة ولداً".

لكن بمجيء (ماني) إلى الحياة خيّبتْ الآمال ولم يفرح بقدومها أحد، بل نظروا إليها شزراً.

في تلك السنة انتشر وباء الجدري، وحوالي خمسين طفلاً من الذين أصيبوا بالجدري في قريتنا ماتوا، وهي ماتتْ أيضاً.

عندما سمعتُ الأنباء عن ابن حارس حقلنا فزعتُ جداً، فالصبي كانت حالته سيئة جداً، ولم يكن بالإمكان إلا الجلوس قريباً من فراشه ومراقبته.

وفي يوم تركته أمه في رعاية أخته الصغيرة وذهبتْ لتعمل في الحقل، وفي منتصف النهار توّهمَ الصبي بأنه محاطٌ بالنيران من كل صوب، فما كان منه إلا أن خرج من البيت وقفز في البئر.

أما (ماني) فقد ماتتْ في فراشها.

في ذلك الوقت، كانت جدتي قد هيأتْ نفسها للحج الشتوي، بينما (ماني) مصابةٌ بحمى شديدة.

قالت أمي للجدة:

"هل من الضروري أن تحجي هذه السنة؟ عندي فتاة مريضة، وأخرى لا تزال ترضع من ثديي، وفي القرية وباءٌ خبيث، تستطيعين أن تؤجلي إلى حج الصيف، ولتبقي معي لتعتني بالبنت المريضة".

أفرغت الجدة محتويات حقيبتها بغضب، وقالت لإحدى الجارات:

"إرضاءً لبناتها سأتخلى حتى عن إلهي

وعقيدتي. تطلبُ مني أن أحوم حول بناتها بسبب حمى بسيطة، ما الذي يجعلها تعتقد بأن بناتها سيصبن بالجدري؟".

قالت أمي باكية:

"اذهبي إذا شئت، لكن أرجوكِ لا تذكري الجدري على لسانك، سأدبر أمر الصغيرة، وسأعتني بالبنت أيضاً، ولكن أرجوكِ امنعي لسانكِ من التلفظ بهذا الاسم ×".

لم تذهب الجدة إلى الحج وبقيتْ في البيت، والكلمة المرعبة التي أطلقتها صارتْ واقعاً، وتجدّرتْ (ماني)، وتحوّل جسدها كله إلى بقع حمراء.

وهذا ما دفع بالجيران إلى أن يتجنبوا زيارتنا، ولم يبق في البيت إلا أمي وجدتي، وكلتاهما خاصمت الأخرى، وامتنعتا عن الكلام مع بعضهما، فإذا الأم سألت: "هل سخنتِ الماء؟"، كانت الجدة ترفض الإجابة.

وإذا الجدة قالت: "أعدي (البكري)× للرجال في الحقل"، تجاهلتْ الأم كلامها.

في هذه الأثناء، واتتْ أبي فكرة هدم بيتنا القديم، وبناء بيت جديد مكانه، فالقطن على غير توقع ارتفع سعره في ذلك العام، وكان المحصول جيداً، فدرَّ أرباحا كثيرة.

قال أبي:

"سأبني بيتاً من ثلاثة أدوار، مع دكّة عالية، ولن يكون له مثيل في كل القرية".

لكن أمي قالت:

"لن أسمح لك بهدم البيت إلا بعد أن تشفى (ماني)".

وهذا ما أثار سخط أبي الذي قال:

"ستكون (ماني) بخير بعد أسبوع أو اثنين، لكن بعد خمسة عشر يوماً سيرتفع أجور العمال، وهناك أشخاص في القرية يزمعون بناء بيوت جديدة، لذلك يجب عدم الإفراط في العمال الآن".

قالت أمي:

"اخرج من هنا".

بعدها غضب أبي، وفي الأمسيات حين يعود كان يسأل فقط عن صحة (ماني)، وكان يتحدث مع جدتي بنزق شديد، وأحيانا يذهب لإحضار الطبيب، هذا كل ما كان يؤديه.

هنا في (بونا) كنتُ معتاداً على تسلم رسائل من أبي: محصول القطن جلب لنا مالاً كثيراً / الانتخابات انتهت / هدمنا الدور الأول / قريباً سنهدم بقية البيت / سنبدأ العمل في البيت الجديد / أنت ابننا الوحيد / أنت فخر العائلة / ابن فلان غادر إلى ألمانيا/ لا تفكر إلا في دراستك.. الخ.

وأنا كنتُ فعلاً أهتم بدراستي حتى ذلك الوقت حين فوجئتُ برسالة تقول: "(ماني) ماتتْ بسبب إصابتها بالجدري، لا تشغل بالك كثيراً".

وتساءلتُ بفزع:

"لماذا يموتُ إنسانٌ بهذه الطريقة؟".

في العطلة الأخيرة، أحضرتْ لي (ماني) مشطاً وهي مبتسمة أثناء مغادرتي إلى (بونا)، في هذه العطلة لن أراها أبداً، لم حدث كل هذا؟

وبعدها فقدتُ الحواس تماماً.

لم تمض أيام حتى استلمتُ رسالة أخرى من أمي، وبها تفاصيل كاملة عما حدث (لماني).

كتبتْ أمي في ختام رسالتها:

"وكما أكتب إليك الآن، فإنني أتذكر كل تلك اللحظات التي مرت عليَّ خلال الخمسة عشر يوماً الماضية، والدموع تنسكب من عيني، حتى اهترأ ساريّ من البلل. لا تحزن كثيراً، لا يزال عندك ثلاث أخوات".

البثور المنتشرة على جسد (ماني) تضخمتْ وصارتْ بحجم الليمونة، وبضجر تدريجي كانت الجدة تعتني بها، ومن أجل المحافظة على صحة (نالي) الصغيرة لم تكن الأم تقترب منها كثيراً، كانت تكتفي بمراقبتها عن بعد.

عندما كانت (ماني) ترى أمي، كانت ترفع كلتا ذراعيها وتقول: "احمليني"، لكن أمي لم تكن تفعل شيئاً.

البثور انتفختْ حتى كادت تنفجر، ذهبتْ أمي وجلستْ بقرب سرير (ماني)، للمرة الأولى تجلس بقربها، فلم يكن مسموحا لأحد الجلوس قريباً منها، وحتى تمنع (ماني) من الاستمرار في هرش البثور، أدخلت يدي (ماني) في كيس طويل وربطت طرفي معصميها، ومع ذلك كانت (ماني) لا تتوقف عن الهرش، وهو ما تسبب في انفجار البثور، وتقطر الدم من يديها، وفي ثورة غضب أمسكت الجدة يدي (ماني) وبإحكام شديد ربطتهما بطرفي السرير.

أما (ماني) فقد أخذت تردد:

"حرروا وثاق يدي".

ذات مرة سألتها الأم:

"(مانوتي)، ماذا تريدين؟ ماء؟".

لم تجب (ماني).

قالت أمي:

"تكلمي، (ماني)، تكلمي الآن، فغداً لن تتمكني من الكلام، تكلمي معي الآن".

لكنها لم تتكلم مع أمي أبداً.

قالت الجدة:

"(مانوتي)، ماذا تريدين أن أطلب من أخيكِ ليحضره لكِ من (بونا)".

قالت (ماني):

"سارياً أحمر، سارياً أحمر".

حين لفظت هذه الكلمات، ماذا كنتُ أعمل بالضبط هنا؟ هل كنتُ في حجرتي؟ أم على الهضبة خلف سكن الجامعة؟ أم كنتُ أضحك مع أصحابي؟ أم كنت أحدقُ في النافذة؟

لا بد أنها تذكرتني في تلك اللحظة، ساري أحمر، هذا ما كانت تطلبه مني دائماً أن أحضره لها، وفي كلّ مرة كنتُ أقول لها: "لن أنسى في المرة القادمة".

وإرضاءً لي كانتُ تنفذ الكثير من الأعمال الصغيرة حتى اشتري لها سارياً أحمر، وعندما كانت ترفض أن تدعك ظهري كنت أقول لها: "ألا تريدين سارياً احمر؟".

تدريجياً، بدأ صوتها يخفت، وقد تكون حنجرتها امتلأت بالبثور أيضاً، العينان كانتا قد امتلأتا بالبثور وابيضتا.

كانت أمي تسألها:

"(مانوتي)، ماذا تريدين؟".

فتجيب (ماني):

"حرروا وثاق يدي، إني أحترق، أمي، إني أحترق، أحترق".

بعدها لم تفتح فمها ثانية، حتى الماء لم يجد طريقاً للنزول في فمها، ومن ثم فقدت بصرها.

كانت أمي تناديها من الجانب الآخر للسرير: "مانو".

و(ماني) كانت تجاهد لتدير رأسها ناحية أمي.

وقفت أمي عند حافة السرير ونادتها: "مانوتي".

أدارت (ماني) رأسها إلى الوراء لترى أمي، عيناها كانتا قد ابيضتا تماماً.

قالت الجدة:

"لم تفقد حاسة السمع حتى الآن".

وبعد يومين، ومن دون أن يغسلوا جسدها، دفنوها خارج القرية، ودفنوا معها كل شيء لمس سريرها، حقيبة كتبها المدرسية، ملاءة السرير.. كل شيء.

ولمدة يومين أو ثلاثة كنت في ثورة غضب عارمة، ولم أكن أعرف على من كنت ثائراً.

قلت لنفسي: "سأقتل أبي، وأقتل جدتي، وأحرق البيت بما فيه، ثم أحرق جثثهم جميعاً، أما أمي فسوف أحرقها حية، لا بد أن يموتوا بهذه الطريقة".

(ماني) دفنت، دفنت، دفنت، والثورة لا تزال مشتعلة بداخلي.

اشتريتُ سارياً أصفر اللون، ذلك النوع الذي تلبسه الفتيات الصغيرات، ومزقته قطعاً صغيرة، وقذفت بالقطع في النار، فاحترقت أصابعي بفعل ألسنة النار المتطايرة. أفرغتُ زجاجة الحبر على الأرض، وغمستُ أصابعي في الحبر، ثم غمستُ كفي في الحبر وطبعتُ صورة لكفي على كل شيء في الحجرة: الوسادة، السرير، الطاولة، الكتب، الدفاتر، الباب، النافذة، الجدران.

ثم أخذتُ زجاجة الحليب ورششتُ الحليب في كل مكان.

وقلت: لا بد من الانتقام، سأصرف مائة روبية في الشهر، وأطلب مائتين أخرى.

خرجتُ وحيداً إلى الهضبة خلف سكن الجامعة، وركضتُ كالمجنون في تلك الأنحاء، في الليل مشيتُ من دون توقف في شوارع (بونا)، استوقفني حارس ليلي فقلتُ له: "ماتت أختي".

ما حدث كان فوق احتمالي، جاءت عمتي مع ابنها إلى حجرتي وقالت: "لا بد أن تصفح، تعال وأمكث معنا أسبوعاً".

قلت لها:

"ولمَ أسبوع واحد، لماذا لا يكون عشر سنوات".

في كل بيت هندي يتعرض الأطفال الصغار للموت، لذلك ليس هناك من سبب يجعل الواحد يفكر في الموت كثيراً. لكنك لا تستطيع أن تتحرر من هذه الأفكار، ولأنك ما زلت من الأحياء فلا بد أن تفكر في الموت.

ذهبتُ إلى بيت عمتي بعد أن ألحتْ علي كثيراً، وبعد يومين أصبتُ بالضجر فعدتُ إلى حجرتي في سكن الجامعة، ففي بيتها يعاملونني معاملة خاصة إدراكاً منهم لحزني الشديد، هنا أستطيع أن أعمل ما أشاء، فالأشياء تحدث دون أن أرغب في حدوثها.

بدأت لا أعيرُ اهتماماً بأي شيء، كلّ مساء أتجولُ كالتائه في الشوارع المزدحمة، واعتدتُ التفكير في الموت في كلّ لحظة، وأصابُ بالغضب إذا اعترض طريقي شخص ما في الشارع، وكثيراً ما أقفُ في شرفة حجرتي، وانتظرُ حتى يهدأ صخب الطلبة وينتشر الهدوء، ثم أراقبُ القمر وهو ينشر ضوءه الذي ينسلُّ إلى حجرتي، فيغمرها بالنور. أقفُ ناظراً إلى القمر حتى يرحل خلف الحجرات الأخرى وينتشر الظلام في كل مكان.

أحياناً يظهر أحد الطلبة ويقول بنزق:

"لا تقف هناك طوال الليل كالشبح".

بعد كل هذا صرتُ أحبُ أخواتي الثلاثة. تزوجت (سومي) بعد فترة قصيرة، وبقي أمامي زواج الأختين الأخريين. في زواج (سومي) كان الجميع يقضون أوقاتاً سعيدة، كانت البهجة عارمة، وحتى أمي سمعتُ ضحكاتها العالية، كنتُ أتمنى أن أسألها: وماذا عن موت (ماني)؟

حتى الآن، ومنذ وفاة (ماني)، لم أكتب رسالة واحدة إلى البيت، واكتفيت باستلام رسالة وراء أخرى من أمي، ثم كتبتُ إليها: "توقفي عن الكتابة إلي".

لكن أمي بعثت لي رسالة جوابية طويلة.

ذات يوم خطط طلاب الجامعة لرحلة إلى كهوف (أجانتا). قلتُ لنفسي: قد تساعدني الكهوف على نسيان ما حدث.

وهكذا قررتُ الذهاب إلى (أجانتا).

× هناك خرافة تقول إن ذكر اسم المرض يسبب حدوثه.

× البكري: أكلة شعبية تُعدّ من الأرز والذرة أو نبات الجاورس.

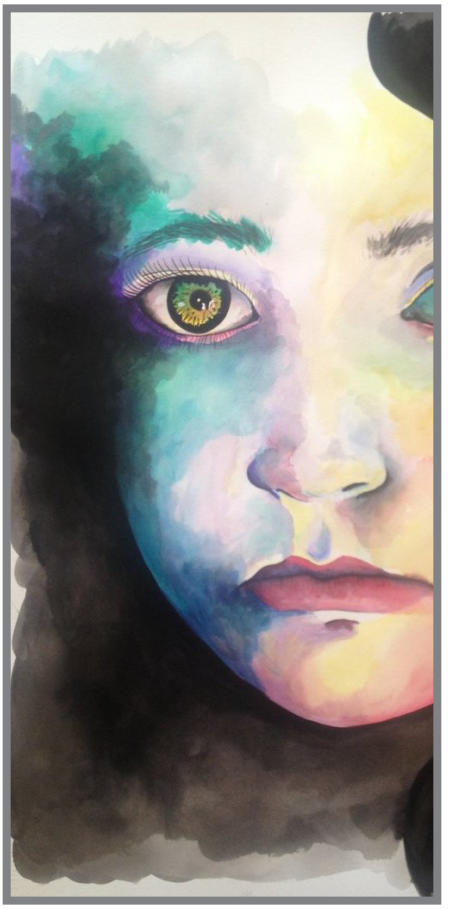

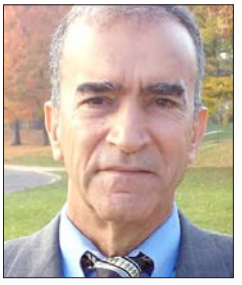

أ.د. صبري مسلم حمادي
أستاذ اللغة العربية في قسم اللغات الأجنبية
بكلية واشتناو - أن آربر - مشيكان - الولايات المتحدة الأمريكية

رسم الصورة في شعر نبيلة زباري

لا مناص لقصيدة النثر من الصورة الشعرية ذات الأثر البعيد في الذهن والقلب معا، وهي فرصة لقصيدة النثر في أن تتألق وأن تنجو من التهمة الجاهزة التي تحاصرها، وهي أنها تتخلى بمحض إرادتها عن قيد أزلي ارتبط بالشعر، وهو الإيقاع الذي اقترن بالشعر منذ عصر الملاحم، بدءا بملحمة جلجامش ومرورا بالإلياذة والأوديسة والأنيادة، وانتهاء بالكوميديا الإلهية، وسواها من الملاحم، إذ نظمت هذه الملاحم كلها شعرا موقعا. وها هي قصيدة النثر تنتقي من الشعر والنثر كليهما عنوانها، وتحاول فرض نفسها عبر نماذجها الغزيرة المبثوثة في الصحف والمجلات والمجاميع الشعرية. فهل استطاعت حقا أن تتبوأ مكانها بوصفها نمطا من أنماط الشعر المهمة جنبا إلى جنب مع قصيدة الشطرين وقصيدة التفعيلة.

ومن المؤكد أن قصائد النثر التي احتفت بالصورة الشعرية المبتكرة والطريفة هي التي تستأثر بالاهتمام، وهذا ما نلمسه في قصائد النثر التي نظمتها الشاعرة البحرينية الدكتورة نبيلة زباري، وليس أدل على ذلك من عناوين مجاميعها الشعرية، لاحظ عنوان مجموعتها: "همس أزرق" الذي ينطوي على صورة تراسلية ترتكز إلى حاستي السمع والبصر، أو عنوانها الآخر: "عسى أن يرجع البحر"، إذ يستند العنوان إلى صورة استعارية تُؤَنْسِنُ البحر، وقد وردت في إطار أسلوب الترجي المسبوق بعسى مما يضفي حيوية على الصورة الاستعارية. ومثل ذلك يقال عن مجموعتها "نبض على أوراقي"، إذ تتواشج الصورة السمعية مع الصورة البصرية كي تشكلا صورة استعارية تراسلية تشير إلى أن الشاعرة تنقل إلينا نبضات قلبها عبر قصائدها، وكذلك عنوانها: "صوت بلبل في دفاتر السفر" الذي يشي بصورة استعارية تراسلية أخرى تحيل صوت البلبل إلى كلمات شعرية، وأما مجموعتها الشعرية الأولى: "حواجز رمادية" فإنها تفصح عن عوائق بلون الرماد وطعمه ودلالاته المترعة بالكآبة.

قسمت الشاعرة نبيلة زباري مجموعتها الأولى حواجز رمادية -التي بدت وكأنها قصيدة طويلة- إلى خمسة حواجز: أولها حاجز الصمت حيث يرد: "صمت... صمت...صمت

ماذا هناك خلف الصدور؟

ماذا هناك تحت أثقال الشهيق؟

يتراكم العويل الأخرس.

.....

ولا تخفى دلالة تكرار لفظ الصمت بقطبيه الإيقاعي والدلالي المفضي إلى التوكيد، ويتضمن التساؤل في السطر الثاني صورة كنائية تطلق خيال المتلقي كي يحدس ماذا

تعطينا الشاعرة صورة عن احتفائها بطقوس
الكتابة الشعرية لديها، ولا سيما أنها الساردة

يخفي الصمت وماذا يحمل الشهيق الثقيل الذي يشي بثقل أعباء الحياة وغياب البهجة فيها، وتأتي الصورة الاستعارية التي يستحيل فيها العويل كما متراكما، وتأتي طرافة الصورة من أن هذا العويل أخرس بمعنى أنه ينضوي تحت إطار الصمت الذي يجثم على أجواء هذا المقطع الشعري. وتأتي خاتمة هذا المقطع بما يؤكد سطوة الصمت الثقيل الذي أفردت له الشاعرة هذا المقطع:

"صه! شاهق ياعمر صمتك"

فتتأكد لنا هذه الحركة الدائرية من الصمت وإلى الصمت، وكأن الشاعرة تحيل على ما سماه البلاغيون: "رد العجز على الصدر"، وهو الذي سماه ابن المعتز: "رد أعجاز الكلام على ما تقدمها". وهي تختم المقطع بصورة تشبيهية بليغة تقرن بين العمر والصمت والجدار الشاهق الذي يحيل إلى جدران السجون.

وتلتزم الشاعرة نبيلة بهذه التقنية الدائرية في حاجزها الثاني (الحزن)، وهكذا فعلت بحاجز الانتظار والمسافة والغربة والقلق والنسيان وسواها من الحواجز والهموم التي سكنت أغوار الشاعرة وناءت بها وعبرت عنها في هذه المقاطع الشعرية المكثفة التي أخضعتها لهندسة شعرية خاصة بها، ولا سيما أنها ختمت حواجزها بعنوان لافت هو: "كل الحواجز" نحدس من خلاله توق الشاعرة إلى تحطيم هذه الحواجز ولو على صعيد الحلم والتمني إذ يرد:

"لو تضم الأرض شواطئها المعذبة بالرحيل"

لو تقبل البسمة أسرار العيون الدامعة

وتلتقط العذاب من فوق وجنات الأصيل

لو..... لو.....

لكسرنا الحواجز المحبوكة بالأغلال

وفلقنا القواقع التي تضج بأنفاس اللالئ

لكنا قد غادرنا مواقع موتنا".

فتحيل الصورة الاستعارية الأولى في هذا المقطع الأرض أمًّا والشواطئ كائنات معذبة وتتأنسن البسمة والأصيل واللآلئ في السطور

التالية، ولكن هذه السطور الشعرية المفعمة بعبير الصور الاستعارية التي تغلب فيها حاسة البصر على بقية الحواس تغلفها (لو الشرطية التي هي حرف امتناع لامتناع)، وبذلك تكون مجرد حلم عابر، يعود بعده كابوس الحواجز في أقسى صوره.

وإذا كانت مجموعة حواجز رمادية للشاعرة نبيلة زباري قد اصطبغت باللون الداكن الحزين فإنها تبدأ مجموعتها (همس أزرق) بقصيدة تحت عنوان: "همس يستيقظ على أرجوحة الشوق"، وهو يتضمن صورة استعارية سمعية يتأنسن فيها الهمس والشوق كلاهما من خلالها كي يعبرا عن توق الشاعرة إلى البوح بمكنون ذاتها وعبر كلماتها الشعرية. يرد في هذا المقطع:

"فوق الطاولة

أسرد للوقت قصص المرافئ وهذيان المجامر

أنضد مرجانا وجلنار حول منعطف يمر بالدقائق

أتهجى لغة البخور ورائحة الزنجبيل.

.....

فأجمع حروفي ورؤاي وأدلقها كسنابل"

فتعطينا الشاعرة صورة عن احتفائها بطقوس الكتابة الشعرية لديها، ولا سيما أنها الساردة ويكون الزمن هو المتلقي لسردها في إطار صورة استعارية تؤنسن الزمن، كما تجعل من المجامر أشخاصا، ويحلو للشاعرة أن تقرن بين شعرها وبين المرجان والجلنار والبخور ورائحة الزنجبيل وأن تختم هذا المقطع من قصيدتها بصورة تشبيهية تقترن فيها كلماتها الشعرية بالسنابل التي هي رمز لديمومة الحياة، وهو مما يمكن أن تمنحه الكلمة المضيئة المؤثرة.

وتفرد قصيدة لوطنها البحرين فتعطينا انطباعا بتنوع اهتمامها في هذه المجموعة (همس أزرق)، إذ يرد فيها:

نورق بك، تتساقط بنا الغربة بعيدا عنك

يلملم الحب قلوبنا يعيدها ينابيع

يجري من تحتها الشوق، إليك بحرين

وترتسمين دانة صغيرة

.....

كلؤلؤة تختزن من بريق القرون

أغنية للبحر

كلؤلؤة تومض في فضاء التواريخ والأزمنة

.....

يا وجه الخليج الذي يزهو بخارطة للحب

.....

ينبت في الصدور سنابل ونخيلا
وهذا الوطن.

فتتصدر الصورة الاستعارية البصرية التي تستحيل فيها الشاعرة شجرة مورقة بقرينة (نورق بك)، وتتألق إضمامة من الصور الاستعارية والتشبيهية والكنائية يقترن فيها الوطن بالحب الذي يجمع القلوب، فإذا بها ينابيع يجري من تحتها الشوق كناية عن شدة اللهفة على الوطن، وهي تكرر لفظ البحرين وتؤنسنها أُمًّا وحضنًا حميميًّا ودانة صغيرة نفيسة ولؤلؤة فريدة ذات جذور عريقة، وتكنيها بوجه الخليج المشرق وبعطاء السنابل وظلال النخيل.

وكتبت لاحقا قصيدة نشرتها في الملحق الثقافي لصحيفة "أخبار الخليج"، يشي عنوانها "في الوداع الأخير" بمضمونها الحزين، يرد فيها:

أحقاً رحلت؟
ها أنا لا أسمع غير الصدى..
وأنت لا تُجيب
أحقاً رحلت ؟
طأطأتْ أعناقُ السهر..
وناح الحزنُ فوق الشجر..
بدأ يصرخ السكون
ولا شيء يُحدثنا هنا
غير الصمت.. وأركان البيت..
لا شيء.. غير صورتِك المطبوعة
في عيونِ التذكر
على جدران الرحيل
والسماء..
هل هذه أدمع السماء
أم ابتهالات الماء
وكَدر الغيومِ في الفضاء
أَم صوت الخطوات التي
خطّت مسار الشجون.. والذكريات؟

حيث تبدأ الشاعرة قصيدتها هذه بتساؤل مرير تكرره مرتين، ولا يخفى القطب الدلالي لهذا التوكيد، فضلا عن قطبه الإيقاعي الضمني. وهذا التساؤل المؤكد يفضي إلى صورة استعارية سمعية ينوح فيها الحزن ويصرخ عبرها السكون وتتحدث فيه أركان البيت، تلي ذلك صورة استعارية بصرية تتراءى للشاعرة عبر تشخيص التذكر إنسانا، وهي تتراءى أيضا على جدران الرحيل، حيث يتجسم الرحيل سجنا بقرينة الجدران، وتبدو قطرات المطر وكأنها دموع السماء الحزينة في إطار صورة استعارية بصرية تترادف مع صورة استعارية سمعية ننصت من خلالها

لابتهالات السماء، وتتعاطف كل مظاهر الكون مع إحساس الشاعرة بالفقد، إذ تتكدر الغيوم وتصطبغ باللون الداكن ويخيل للشاعرة أنها تسمع أصوات خطوات ترسم لها وجه مستقبل كئيب سينطوي على ذكريات مريرة.

نبيلة زباري خلال مهرجان العيون للشعر العالمي

كتبت الناقدة العراقية الدكتورة وجدان الصائغ عن مجموعتها الشعرية (همس أزرق) مؤكدة أن الشاعرة "قد بلورت متونا أنثوية تتكئ في لغتها الشعرية إلى اليومي والعابر لإضاءة الهامش الاجتماعي والثقافي الذي وجدت الأنوثة ذاتها متموضعة في خضمه، وهي بذلك قد نجحت في خلق بنية شعرية تعكس رغبة الأنوثة في اجتياز عقبات الهامش وصولا إلى المتن الثقافي الذي يليق بالأنثى بوصفها كيانا فاعلا في البنية الإنسانية والحضارية". ولا شك في أن الشاعرة البحرينية الدكتورة نبيلة زباري هي نموذج لشاعرة لم يثنها تخصصها في مجال التربية وكونها أستاذة جامعية حصلت على الماجستير والدكتوراه من بريطانيا عن أن تصدر أربع مجموعات شعرية هي على التوالي: حواجز رمادية 1994، عسى أن يرجع البحر 1998، همس أزرق 2006، نبض على أوراقي 2006.

وآية ما ذكر وعبر استقراء بعض النماذج الشعرية للشاعرة نبيلة زباري وما ازدانت به من صور شعرية طريفة ومضمخة بعطر الحواس، إذ اشتغلت على معظم الحواس ولا سيما حاسة البصر وحاسة السمع وفي إطار صور استعارية وتشبيهية وكنائية مؤثرة، ومن هذا المنطلق فإن قصائدها جديرة بالاهتمام والدراسة بوصفها من النماذج المتميزة لقصيدة النثر، وعلى وجه الخصوص أسلوبها في رسم صورها الشعرية.

الهام عبد اللطيف الناصر
مدرب محترف في الموارد البشرية
وتصميم الحقائب التدريبية
والإستشارات الإدارية

أفضل استراتيجيات لزيادة الإنتاجية

إن التحديات التي يشهدها العالم اليوم والمتمثلة في المنافسة الضارية والتطورات التكنولوجية والإقتصادية التي تتسم بالسرعة أوجبت أن يكون التميز عنصراً أساسياً بين المنظمات من أجل البقاء والنمو والتطور. لذلك برز أهمية الإهتمام بتعزيز مهارات البشر وقدراتهم التنافسية، وصار نجاح (أو حتّى نجاة) المنظمات يعتمد على قدرتها على الإبتكار والإبداع والإنجاز في أسرع وقت وبأقل التكاليف. ولهذا صار مصطلح «الإنتاجية» واحدًا من أبرز المصطلحات وأكثرها تداولاً في المجالات المؤسسية والفردية.

وهـذا المصطلح قـديم ولكن في زمننا الحـالي أصبـح الجميع مهووس به بشكل وبآخر ، ونستطيع تلمس أهمية الإنتاجية على عدة مستويات: المنظمة والفرد . فأما بالنسبة للمنظمات فإن الإنتاجية تعبر عن كفاءة الإدارة في استغلال الموارد والإمكانات المتاحة لها، والحصول من هذه الإمكانات على أحسن نتيجة ممكنه.وباتت فكرة ملحة في ظل انفتاح الفرد على طيف كبير جدا من المؤثرين والملهمين والمنجزين مما يعزز سؤال يسأله نفسه: ماذا عني؟ ماذا فعلت في حياتي؟

مفهوم الإنتاجية

هناك تعريف للإنتاجية في علم الإقتصاد ومعرف بعبارات بسيطة عرفه (Thanh Pham) ويعني مقدار المخرجات التي تحصل عليها مقابل كل مدخل. فمثلا لو أعطيتك 5 تفاحات وأعطيتني لترواحد من عصير التفاح، فإن إنتاجيتك هي لتر واحد لكل 5 تفاحات. لكن لشخص آخر أن ينتج لتر واحد من عصير التفاح عن طريق 4 تفاحات فهذا يكون فعالا أكثر. إذن هذا المثال الاقتصادي البسيط يبين بأن الإنتاجية تساوي المخرجات قسمة المدخلات.

قياس الإنتاجية :

إن تعريف المدخلات والمخرجات يختلف من شخص إلى آخر. فمثلاً تكون الإنتاجية لشخص بأن التقاعد في سن 30 والعيش ببساطة باقي حياته، وآخر يراها بأنها إنهاء الكثير من الأعمال في وقت أقل مما قد يتطلبه عادة. وهناك من يعتبر أن المال الذي يستطيع الحصول عليه لقاء ساعة عمل هو معيار الإنتاجية، بينما قد يرى شخص آخر أن الوقت الذي يستطيع قضاءه مع أطفاله خارج نطاق العمل هو معيار الإنتاجية لديه، وربما الكاتب يرى بأن معيار الإنتاجيه هو إذا كتب 5000 آلاف كلمة في اليوم. بالتالي تختلف الإنتاجية بناءاً على إيمانيات المرء ،

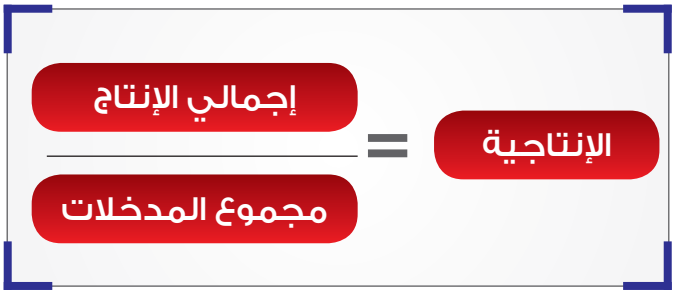

والمرحلة العمرية، وثقافته وغيرها.

أمـا بالنسبة للمنظات فهي نسبة المخرجات (من سلع وخدمات) إلى المدخلات (مثل: الموظفين + رأس المال+ المواد الخام) أي أنها مقياس لمدى جودة استخدام الموارد لتحقيق الهدف المرجو. ولو وضعنا مفهوم الإنتاجية في معادلة بسيطة فهي كالتالي:

العوامل المؤثرة على الإنتاجية :

وتتأثر الإنتاجية بعوامل كثيرة منها القيادة والإدارة والتخطيط فلاشك أنها من المؤثرات المهمة على الإنتاجية مثل مراقبة ومحاسبة وتقييم العاملين أو تحفيزهم وتوجيههم وتنمية مهاراتهم وتراكم وتنوع الخبرة والمعرفة لأمر مهم في دفع إنتاجيتهم وملء كل مساحات العمل المخططة والتوصيف الوظيفي المعد والمدروس يعتبر من أهم أدوات تخطيط العمل، بالإضافة إلى تعريف الموظف بمهامه وواجباته يزيد من إنتاجيته. بالإضافة إلى العوامل الفنية المتصلة بالمواد وهي مجموعة العوامل المتعلقة بمدى توافرها بالكميات المناسبة وبمستوى الجودة المطلوبة وفي الوقت المناسب وبأقل تكلفة. ومتصلة بالمعدات والآلات فإذا كانت متطورة تؤدي إلى زيادة كفاءة الإنتاج.

وتتأثر إنتاجية الفرد أيضاً بعوامل كثيرة منها سلبية ومنها إيجابية فالعوامل السلبية كالمحسوبية وعدم معرفة طبيعة العمل، والروتين والتسيب الوظيفي، هي من أهم المؤثرات التي تصيب الأجهزة الإدارية بالشلل مما ينعكس أثره على الموظف. اما العوامل الإيجابية كالحوافز المادية والمعنوية لها دور في تحفيز الموظف فمثلا: وضوح أدوار الفرد، مواعيد العمل المستديمة ، التدريب وتطوير الفرد باستمرار، والبدلات والحوافز السنوية، والتقييم الإيجابي المستمر، وتعريف المدير الفرد بمستجدات العمل وحثه على الأداء الجيد للعمل، توفير بيئة مادية جيدة للعمل ، كلها تحفز وتحمس الموظف وتشبع احتياجاته بالتالي تدفعه إلى تحسين الأداء وزيادة الإنتاج.

أفضل الاستراتيجيات لزيادة الإنتاجية

سنذكر هنا بعض الاستراتيجيات التي يستفيد منها المدراء ، أصحاب المشاريع ، الموظفين، والأفراد في كيفية زيادة إنتاجيتهم والشعور بالحماس والإنجاز و التي تحدث عنها أفضل الكتاب والمستثمرين وعلماء النفس في الوقت الحالي :

كن مسؤلا عن حياتك

يستيقظ الكثير صباحا وأول ما يقوم بفعله هو قراءة من البريد الإلكتروني وإجراء عدة محادثات على مواقع التواصل الاجتماعي في آن واحد ، مع أن معظم هذه المحادثات مفيدة بطريقة أو بأخرى إلا أنه يعلم في عقله الباطن أن هناك أهدافا أكثر أهمية يجب عليه تحقيقها. ولكن حتى يشعر الشخص بالإنجاز والإنتاجية هناك بعض المختصون يقدمون عدد من النصائح التي إذا ما قام بها أي شخص بعد الإستيقاظ من

النوم مباشرة ستغير من نظرته ليومه. ويقول مهما كانت الأعمال التي يقوم بممارستها الشخص عند أول الصباح يجب أن يبدأ يومه بطرح ثلاث أسئلة تجعل الشخص يبدأ يومه بحماس وإيجابية أكثرهي:

ما الذي سيجعله متحمسا ومتحفزا اليوم؟

عمَّا أو ممّن هو ممتنٌّ له في حياته؟

ما الشيء الذي عليه القيام به في ذلك اليوم بغض النظر عن أي شيء آخر؟

وبعدها يقوم بشرب الكثير من الماء ويتناول إفطارا صحيا ، ثم يبدأ التفكير في العمل وهذه هي الطريقة التي تجعل أي شخص يؤدي مهامه بشكل أفضل يوميا. أي يبدأ يومه بالأهتمام بالجانب العقلي والبدني والصحي لأنها من أهم الأمور قبل العمل.

حدد الأولويات

يقول الكاتب الأمريكي (Tim Ferriss) بأن على كل الشخص التأكد من عمل الشيء الصحيح دائما وأن كلنا لدينا 24 ساعة لذا علينا استغلالها بالشكل الصحيح. فبإمكان الأشخاص أن يعملوا أشياء كثيرة في وقت واحد مثل مشاهدة اليوتيوب أو عمل مكالمات هاتفية ثم النظر إلى مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من الأعمال، ولكن في نهاية اليوم او نهاية الأسبوع او الشهر أو حتى السنه قد لا ينجز مهام كثيرة، لذا على كل شخص النظر إلى قائمة الأهداف والأعمال والأولويات التي لديه ثم يسأل نفسه ما الأعمال التي إذا أنجزها ستسهل عليه المهام الباقية أو تجعلها غير مهمة، هذه طريقة رائعة للتركيز في العمل الواحد. وهنا نذكر قول ستيف جوبز اذا كنت تريد عمل أي شيء محرج يجب ان تقول لا لـ99 % من الأعمال والعمل على الأولويات.

3 - خلق بيئة مليئة بالتركيز الكلي

تذكر البحوث والدراست بأن الكثير من الأشخاص يقضون من ساعة إلى ساعتين في اليوم في الازعاج (أي في الرد على الهاتف/ مشاهدة التلفاز / التحدث في المواقع التواصل الاجتماعي وغيرها) ويحتاج الى 21 دقيقة للعودة الى التركيز في العمل الذي يقوم به بعد أن تشتت انتباهه. فإذا كان الشخص مشتت الانتباه مابين التحقق من الجوال أو قراءة الرسائل البريدية أو الاطلاع على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من المنصات الالكترونية كل ذلك يؤدي إلى عدم التركيز. ويذكر الكاتب الكندي..

Robin Sharma)

(بأن على كل شخص خلق بيئة عمل محفّزة للتركيز بعيدا عن الفوضى التي تحيط به، بحيث يخصص لنفسه عدد من الأيام خلال الأسبوع يتخلى عنها عن استخدام الهاتف النقال والانترنت والمواقع التواصل الاجتماعي، ويستخدم مكان أو قاعة بعيدا عن الناس ويصعب الوصول إليه فيها حد أدنى من المفروشات والأدوات للعمل، حتى يخرج أفضل ما لديه. وينتقل المخ من حالة البيتا(النشاط والاستيقاظ) إلى حالة الألفا (التأمل الذي لا يحده وقت ولا مكان) بحيث يحصل على أفضل الأفكار وأفضل الأعمال.

> يقوم الشخص بعمل أشياء مفرحه وسعيده مثل عمل خير كشراء ماء بارد وتوزيعه على العمال في الشوارع

4- العمل على مهمة واحدة

يعتقد البعض منا أنهم قادرون على أداء أكثر من عمل في نفس الوقت، وهذا يجعلهم فخورين بأنفسهم وراضين عن مستوى عملهم ولكن فعليا، هل نستطيع القيام بأكثر من مهمة في نفس الوقت وبجودة عالية؟ وهل نزيد من إنتاجيتنا عندما نقوم بذلك؟ وهل لها تأثير إيجابي على العمل الذي نقوم به؟ وهناك دراسة أجراها الباحث وانغ تشنغ من جامعة أوهايو للبحث عن حقيقة تعدد المهام الذي يشعر البعض أنهم يقومون به بطريقة مذهلة، أظهرت أن ما يشعر به من مشاعر إيجابية حين يقوم الشخص بأكثر من مهمة في نفسالوقت تأتي من مشاعر الارتياح والشعور بالرضا وليس من القيام بإنجازات أكبر خلال الفترة الزمنية المحددة أي فعليا لا تكون هناك زيادة في الإنتاجية.

ويؤكد ذلك..

(Ralph Smart)

وهو كاتب وعالم نفس وصاحب قناة على اليوتيوب بأنه كلما كان التركيز على عمل مهمة واحدة فقط كلما كان أفضل، ويعني بأن الشخص عندما يركز على إنتاج فيديو فهو يركز على هذا العمل فقط، وإذا قام بعمل استشارات فهو يركز على الاستشارات أي لا تكون هناك أعمال كثيرة ولكن هناك تركيز كبير على العمل الواحد ، لان كثرة الأعمال تؤدي إلى أن يفقد الشخص الحماس لما يريد فعله بالتالي لا يكون منتجا أبدا. لذا على

الشخص إذا أراد أن يكون منتجا أن يقوم العمل على مهمة واحدة على حدة وأن يعملها بشكل جيد

5- النظر من زاوية مختلفة

وأخيرا إذا لم يشعر الشخص بالإنجاز في ذلك اليوم فيستطيع أن يعتبره يوم عطلة وراحة بحيث ينظر إلى ما عمله من إنجازات بالأمس وهذا يعتبر يوما لتجميع الطاقة وتقدير للنفس، وفي هذا اليوم يقوم الشخص بعمل أشياء مفرحه وسعيده مثل عمل خير كشراء ماء بارد وتوزيعه على العمال في الشوارع وخاصة أنه في فصل الصيف. أو عمل شيء جديد بالنظر للأمور التي حواليه وليس شرطا ربط هذا اليوم بإنجاز آخر. أي النظر إلى الأمور من زاوية أخرى وهي مهمة للشخص وتعطيه الشعور بالعطاء و الاطمئنان والسعادة وتقدير لما ما لديه.

ختاما

هذه الاستراتيجيات هي بعض من الاستراتيجيات الكثيرة التي يجب العمل بها، فعندما يبدأ الفرد بأسئلة محدده في بداية يومه سيستطيع أن يحدد أولوياته وأهدافه، وهذه الأولويات تحتاج إلى مكان هادئ وبعيد عن أي مشتتات ذهنية بحيث تُظهر أفضل الأفكار، وإذا تم العمل على كل مهمة على حدة سيكون العمل أكثر تركيز وأكثر جودة وله تأثير عالي . كل ما سبق سيزيد من الشعور بالحماس والتحفيز بالتالي إنتاجية أعلى وإنجاز أكثر.

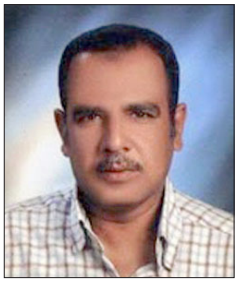

محمد عباس علي

البيت رقم ٥

قصة قصيرة

البيت رقم ٥ في شارعنا ذو باب مغلق دوماً، يطل من نافذته نصف المغلقة وجه عابس الأسارير يصب من عينيه بريق تحيرني حدته ويشدني لونه، وكلما صادفت ورأيته أنظر وأتساءل مالون هذا البريق ولماذا تحتد نظراته هكذا؟

فهو عادة يطل بأعلى صدره مستقبلا النافذة من دون أن يخرج رأسه منها، ملقيا نظراته إلى الطريق ومن قد يتصادف مروره منه، تتلاقى الأعين عن قرب، لا تتغير درجة العبوس كأنما يساوي في ضيقه بين الطريق والأشخاص، ولأنني أراه كثيراً فقد شدني البيت وشدني ساكنه، إلى درجة أنني بدأت أراهما معا حيث سرت، ففي أي مكان أكون فيه أجد البيت قائما أمامي بلونه الأصفر الذي بهتت زهوته، ببابه المغلق دوماً، بنافذته الوحيدة المغلقة نصف الإغلاق، بالصمت المهيمن على أركانه والذي ينبئ بأن الحياة سحبت أو تكاد لولا أنفاس هذا العجوز الواهنة التي ما تزال تتردد بين الجدران، لا أعجب لرؤيتي هذا البيت، ولا أضيق بإصراره على المثول أمام عيني، أتجاهل بابه المغلق وأدور بنظراتي حتى أجد النافذة نصف المفتوحة وأتجه بعيني مباشرة الى العينين العابستين أحدق فيهما لوهلة لا تكاد تحسب من عمر الزمن، ثم أدير وجهي عنه مؤكدا لنفسي أن هذا الرجل الشائب النظرات ينتظر ولده الذي تباعدت زياراته له بعد أن كان يواظب على زيارته في فترات متقاربة، وأنه يقف هكذا فاحصاً الأرض، مترقباً نسمات الهواء، متفحصاً الوجوه لعل أحدهم يأتيه بنبأ عنه، ولأنه لا يعترف بأدوات الاتصال الحديثة فهو ما يزال يهتم جدا بساعي البريد العجوز مثله الذي ندرت مرات مروره أيضاً، وإن كان يمر أحيانا من أمام نافذته وعندها يتألق البريق في عينيه، يحدق إليه بنظراته المترقبة لعله يأتيه يوماً برسالة منه تكون الدواء لمرض الانتظار الذي أرقه كثيراً، أو تكون الرواء من ظمأ الشوق الذي أجهده.

وقد حاولت مراراً الحديث إلى هذا الرجل لأعرف مشاعره في وحدته، لكنني لم أجد منه كلما تلاقت نظراتنا إلا بريق عينيه وعبوسه المقيم، إلى أن قابلت صباح اليوم رجل البريد العجوز الذي كان يحمل قديماً حقيبة سوداء كبيرة محشوة بالخطابات على دراجته التي كان يتركها بجوار بابنا ويمضي ليوزع خطاباته، يمر على بيوتنا مناديا أو ضاربا الجرس لكي نتسلم خطاباتنا، ثم يعود أخيراً راضيا منشرحا بعد أن خف حمله الثقيل كثيرا.

هذا الصباح وجدته قد استبدل حقيبته السوداء الكبيرة هذه بحقيبة صغيرة يضعها على كتفه، وكان يمسك بهاتف يدوي صغير حينما قابلته.

الحقيقة أنني لم أقابله، هو الذي طرق الباب، كنت مريضا ملازما الفراش منذ أيام لا أعرف عددها، جاهدت لأصل إلى الباب، رأيته أمامي بهيكله العجوز وقد هرول العمر به فتبدل السواد بشيب وتبدل النشاط بوهن، وعلى فمه بسمة رائقة وفي عينيه ألق وهو يدفع إليّ بخطاب قادم من هناك، قرأت اسمي على المظروف، هرولت نظراتي إلى اسم المرسِل، هو ولدي، نسيت التعب وأقبلت عليه مرحباً والكلمات تتسابق على شفتي لتعبر له عن فرحتي، بادلني الفرح قائلاً:-

- الخطاب الذي انتظرته طويلا.

- أنا؟

- طبعا، ها هو العنوان، البيت رقم 5، عنوانك.

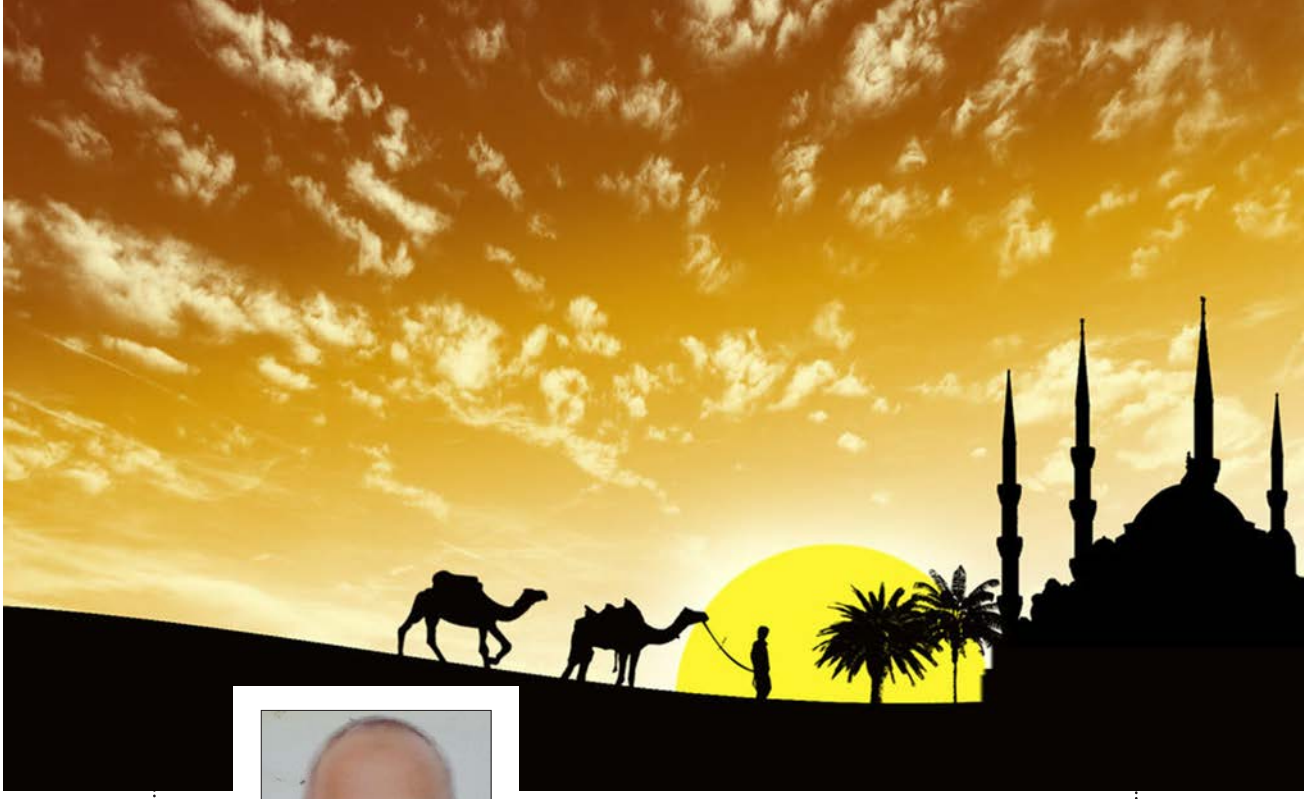

د. عصام خليل الدايح

دَور الكِتَابات الغَربية المنصِفة في تصحيح الصُّورة النَّمطية عن العرب والمسلمين

لا يمكن لبحث يدّعي الموضوعية والتوازن أن يتجاهل الكثير من الكِتَابات الغَربية التيً أنصفت العــرب, ســواء أكــانــوا رحالة أو كتَّاباً أو أُدَباء. ويمكن لهذه الكِتابات المنصفة أن تلعب دوراً هاماً في تصحيح الصّورة النّمطية السّلبية عن العرب في الذّهن الغربي وتساهم بفاعلية في دعم مسيرة الحِوَار العربي – الغربي في مختلف المجالات الثقافية والدينية والسياسية والإعلامية.

لقد وُجِدَ في كل القرون ومن كل الثقافات شخصيات حرَّة لا تساوم على الحقيقة، ولا تتخلى عن الموضوعية، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

جورج سيل:

يعتبر جورج سيل (1697 – 1736) أول مستعرب انكليزي متحرِّر نسبياً من الغرض الدِّيني، كان يوصف بأنه نصف مسلم، اشتهر بترجمته للقرآن الكريم التي نشرت عام 1734.

واتخذ سيل مواقف منصفة في كتاباته من العرب ودينهم وحضارتهم [1].

رتشارد برتون:

من أكثر الرَّحَالة الأجانب الذين زاروا الوطن العربي في منتصف القرن التاسع عشر، نشاطاً وكتابة، تميَّزت كتاباته بدقتها المنهجية وصدقها وواقعيتها ودفاعها عن شخصية الإنسان العربي [2].

ولفريد .إس . بلنت:

دافع الرَّحَالة «ولفريد إس . بلنت» (1840 – 1922) عن العرب والإسلام، إذ كان خلافاً لأغلب المستشرقين والرَّحالة متحرِّراً من الأهواء الدِّينيّة. كان الإسلام برأيه قوة إيجابية أسهمت بمعرفة قيِّمة للإنسانية[3].

الكاتب المسرحي «جورج برناردشو»:

أعجب «برناردشو» بالحضارة العربية الإسلامية وبالنّبي الكريم محمَّد، وممّا قاله في هذا الصدد : (قرأتُ حياة رسول الإسلام جيداً مرات ومرات، ولم أجد فيها إلاَّ الخُلق كما يجب أن يكون، وأصبحت أضع محمَّداً في مصاف، بل على قمم المصاف من الرجال الذين يجب أن يُتَّبعوا، ولمّا قرأت دين محمّد أحسست أنَّه دين عظيم.

لقد مضت على الغرب القرون وهو يقرأ كتباً وجرائد مليئة بالأكاذيب عن الإسلام والعرب، أمَّا اليوم ففطن رجال الغرب إلى أن الإسلام الحقيقي ليس الذي عرفوه من كتب قرؤوها من قبل) [4].

المستشرق الألماني الدكتور «وايل»:

الدكتور «وايل» هو أستاذ اللغات الشرقية ومدرّس العربية والسريانية في جامعة باريس. قال في كتابه (تاريخ الخلفاء): (إنَّ أقوال المغرضين وآراء المتعصبين كانت وما زالت تتوجه إلى العرب والمسلمين، وأن الغَرب الصّليبي الاستعماري حرص منذ قرون على مواجهة الإسلام وتشويه صورته وتجريح نبيَّه محمَّد [5].

الكاتب البريطاني «دوانبورت»:

قال الكاتب البريطاني الكبير جان دوانبورت: (أعتذر عن التصورات والأوهام التي كانت شائعة في الغرب عن العرب والمسلمين [6].

الصحفي الأمريكي نيكولاس هوفمان:

كتبَ الصحفي الأمريكي..

"Nicholas Van Hoffman":من صحيفة (واشنطن بوست): (لم تُشوَّه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية أو يحط من قدرها بشكل مركَّز ومنتظم، كما حدثَ للعرب).

وفي السياق ذاته كتبت رئيسة تحرير صحيفة «the naw Republic»:(العرب ضحايا نمطية جذرية مسبقة. وعندما يكون الرأي منحازاً سلفاً ولا رجوع عنه، فإنَّه يصبح أكثر انتماءً وقرباً إلى – التوضيب – منه إلى التفكير)[7].

الكاتبة الأمريكية «نيغرين فيلد»:

بيّنت الكاتبة الأمريكية NegGreen Field : المسؤولة عن صفحة الرأي في صحيفة الواشنطن بوست، آلية تكون الصورة المعادية للعرب بقولها : (نحن نسيء فهم العرب، الأمر الذي يؤدي إلى التقديم الكاريكاتيري لهم، وتشويههم والسّخرية منهم، ثمة عملية لنزع الصِّفة الإنسانية عن العرب)[8] .

الصحفي الانكليزي «أرسكن تشيلدرز»[9]:

الصَّحفي والكاتب الانكليزي « أرسكن تشيلدرز « من الصّحفيين والكتّاب الأوفياء للعرب الذين دافعوا عن قضاياهم في مؤلفات عدة، منها على سبيل المثال :» الطريق إلى السويس « و « بعض المنطق عن العرب «.

قال في محاضرة ألقاها في هولندا في مطلع عام 1967 بدعوة من جمعية الصَّداقة الهولندية العربية بمناسبة عشر سنوات على تأسيسها: (لقد كانت صورة العرب والمغاربة والمسلمين في الغَرب تتسم بالقوة والحقّ في وقت سبق كثيراً ظهور الإمبراطوريات الغربية التي نشأت آسيا وافريقية).

ويضيف « تشيلدرز «: (كثيراً ما راودتني فكرة وضع فلم عن العرب، وأنا أقف في ميدان ترفلغر في لندن. لو قدر لي هذا ، فإنني سأهز أوصال كل المتفرجين، بريطانيين وغربيين على السَّواء. سأخبر الحاضرين بأن ميدان ترفلغر عربي الأصل « الطرف الأغر»، وأن الشيكات التي تتعامل بها البنوك الكبيرة الموجودة في ذلك الميدان استمدت تسميتها من كلمة عربية، وأن الأرقام التي تحملها من اكتشافات العرب، وأن المجاري تحت ذلك الميدان اقتبست من مجاري بغداد وقرطبة عندما كانت لندن وأية مدينة أخرى مجرد أكداس من الطين والأوساخ، وأن لقب أدميرال الذي عرف به نلسون كلمة عربية الأصل. وسأدهش الحاضرين أكثر عندما أبلغهم أن الماء الصاعد من نوافير الميدان ماء صاف بفضل انتصارات العُلماء العرب القُدامى في ميدان الكيمياء).

ويخلص « شيلدرز « إلى نتيجة هامة مفادها: (المؤسف أن صورة العرب الحالية في أذهاننا سلبية وغبية فنحن لم نصل إلى ما وصلنا إليه إلاّ بفضل العرب لأنَّ اتصالنا بهم كان أطول وأوثق من اتصالنا بالشُّعوب الأخرى).

الشَّاعر الألماني «غوته»

أراد الشَّاعر الألماني الكبير « يوهان وولفغانغ فون غوته « ربط الروح الشرقية بالروح الغربية ولذا ألّف كتابه الهام « ديوان الشرق والغرب « الذي أخذ شهرة عالمية وما زال رغم مرور « 185» عاماً على وفاته.

الفيلسوف الألماني « هردر «

اتخذ الفيلسوف الألماني « هردر « موقفاً منصفاً من الحضارة العربية، حيث يرى أنَّ العرب كانوا مصدر نور وإشعاع في العصر الوسيط، وهم في الوقت نفسه باعثو الحضارة الأوروبية.

أحد مؤتمرات حوار الحضارات الذي اقامته مملكة البحرين

المستشرقة الألمانية «آنّا ماري شيمل»:

عَملت المستشرقة الألمانية «آنّا ماري شيمل» (1922 – 2003) على تحويل حِوَار الحضارات إلى شعار عالمي تبنته الدول والمؤسسات الدولية، حيث عملت وأنتجت وتحولت إلى سفيرة ثقافية في الحِوَار بين حضارة الشَّرق وحضارة الغرب [10].

ومن الكتّاب الغربيين الآخرين الذين أنصفوا العرب والمسلمين: مراد هوفمان، وتوماس كاريل، وتولستوي، واللورد هيدلي، وإميل درمنجم، والسِّير وليم موير، والفيزيائي ألبرت آينشتاين، والكسندر دوما، وجان جاك روسو، وسواهم.

تغيير الصّورة النّمطية السَّلبية عن العَرب وتَصحيحها أولى مَهَام الحِوَار

الحديث عن كيفية مُحَاوَرة الغَرب إعلامياً وثقافياً وشروط هذا الحِوَار وأهدافه وآلياته لا ينفصل عن دراسة صورة العَرب في الغَرب، وكيفية تغييرها وإعادة تشكيلها وتَصحيح قوالبها السّلبية الرَّاسخة لدى الإنسان الغربي.

فقد يتطلب النجاح في إزالة الصُّورة النَّمطية التي رسخت عبر عقود طويلة في الفكر الشَّعبي الغَربي عن المسلمين والعرب المقدار نفسه من هذه العقود. وهي مسؤولية مشتركة تقع على عاتق المسلمين والعرب بمقدار ما تقع على عاتق الغربيين أيضاً.

إنَّ عدم مواجهة المفاهيم الخاطئة والصُّور النَّمطية السَّلبية عن المسلمين والعرب يرسّخها أكثر في ذهن الإنسان الغربي ويُعزِّز من نتائجها الكارثية المدمِّرة. وهذا يلقي بمسؤولية كبيرة على المسلمين والعرب أنفسهم حكومات ومؤسسات وأصحاب أقلام وفكر ليجدوا السُبل المُثلى لمُحَاورة الإنسان الغربي بالحكمة والموعظة الحسنة والمصالح المتبادلة.

وَاجبات الدُّول الغَربية في تغيير الصُّورة السَّلبية عن العَرب

تَستلزم عملية تغيير الصُّورة الذّهنية النَّمطية السَّلبية عن العرب ثلاثة متطلبات أساسية تشكل مجتمعة قاعدة ومنطلقاً لعملية تغيير شاملة تطال المجتمع الغَربي وحكوماته ومؤسساته[11]:

- **المطلب الأول:**

أن توضح الدّول الغربية ما تسميه موقفها الجديد إزاء العرب والمسلمين وتبلوره في استراتيجيات وسياسات واضحة ومحدَّدة، تنطلق منها وسائل الإعلام أو تأخذها بعين الاعتبار في تغطيتها للقضايا العربية والإسلامية.

- **المطلب الثاني:**

إقدام الغَرب على اتخاذ وقفة نقدية حاسمة إزاء الإرث الضخم من معظم الفكر الاستشراقي الذي يُشكِّل الأساس الذي قامت عليه الصُّورة النَّمطية السَّلبية للعربي والمسلم في ذهن الإنسان الغربي.

- **المطلب الثالث:**

تفعيل وتطوير التوجهات الغربية الإيجابية إزاء القضية الفلسطينية وسائر القضايا العربية الأخرى، وتبنِّي النظرة الموضوعية والواقعية للعرب والمسلمين.

وَهَكَذا يكون تَصحيح الصُّورة النَّمطية السَّلبية عن العرب والمسلمين في الذِّهن الغربي، هو البداية الطَّبيعية لتأسيس ثقة متبادلة تشكل مدخلاً موضوعياً لانطلاقِ حِوَارٍ عربي – غربي فاعل ومؤثر وعميق ومتواصل.

الهوامش والمراجع:

1 – عثمان ، محمَّد عثمان: محمّد r في الكتابات المنصفة، ص59.

–2 نفسه، ص117.

3 – مجموعة المؤلفين ((إيناسيو رامونيه)): نظام التضليل العالمي، ص83 .

4 – المرجع السابق: ص 8 .

5 – هاشم ، عقيل: تخطيط الإعلام العربي، ص103 – 105.

6 – العبادي، صالح : آنّا ماري شيمل : السفير الثقافي بين الشرق والغرب، مجلة الفيصل، العدد 322، يونيو 2003، ص118.

7 – شيمل، آنّا ماري: من كلمتها في حفل استلام جائزة الصلح للناشرين الألمان، مجلة كيهان، العدد 28، طهران نوفمبر 1995م .

8 – خضور، د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي ، ص–77 78.

9– محمد الأحمد، الحوار الإعلامي مع الغرب، دار الشرق، بيروت2006، ص123.

10– المصدر السابق نفسه، ص156.

11– نفسه، ص167.

مبارك سعد العطوي

نائب رئيس مجلس الوزراء يرعى الاحتفال بتكريم الفائزين بجائزة يوسف بن أحمد كانو للدورة التاسعة

أقيم بمركز الخليج الدولي للمؤتمرات بفندق الخليج حفل تكريم الفائزين بالدورة التاسعة لجائزة يوسف بن أحمد كانو تحت رعاية كريمة لمعالي نائب رئيس مجلس الوزراء الشيخ خالد بن عبد الله آل خليفة

أقيم تحت رعاية معالي الشيخ خالد بن عبد الله آل خليفة نائب رئيس مجلس الوزراء حفل تكريم الفائزين بجائزة يوسف بن أحمد كانو للدورة التاسعة (2018م)، وبحضور ومشاركة العديد من الشخصيات بالمملكة والفائزين وعوائلهم، وذلك بقاعة مركز الخليج للمؤتمرات بفندق الخليج.

وقد تحدث السيد خالد محمد كانو رئيس مجلس الأمناء مُرَحِّبًا بالحضور، وأكد فيها أن عائلة كانو تؤمن إيماناً عميقاً بأهمية العلم وتكريم العلماء والمبدعين وكذلك تشجيع ودعم الطاقات الشبابية في هذا الوطن. وانطلاقاً من هذا المبدأ تم تأسيس وإنشاء جائزة يوسف بن أحمد كانو للمساهمة في الارتقاء بالنوعية الإبداعية لدعم الفكر وخدمة المجتمع مساهمة وطنية من العائلة للجهود الكثيرة والمتعددة التي تقوم بها مملكتنا الحبيبة.

وأكد أن المملكة تعيش نهضة علمية وثقافية يرعاها صاحب الجلالة الملك المفدى ويتابع مسيرتها بكل كفاءة صاحب السمو الملكي

السيد خالد كانو

رئيس الوزراء الموقر وصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمين نائب القائد الأعلى النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء حفظهم الله.

كما أوضح أن تطلعاتنا تسير من أجل مواكبة كل الجهود للارتقاء بالمشروعات الإبداعية للشباب والمفكرين من أبناء البحرين والأمة العربية.

قامت الجائزة باختيار خمسة مجالات جديدة في هذه الدورة، هي:

- مجال الاقتصاد
- مجال ريادة الأعمال
- مجال الأفلام القصيرة
- مجال البحث العلمي الجامعي
- مجال الفن التشكيلي

وقد تم تكريم الفائزين في هذه الدورة، على النحو التالي:

مجال الاقتصاد والأعمال			
1	**المركز الأول**	الدكتور عميروش شلغوم	الجمهورية الجزائرية

مجال الأفلام القصيرة			
2	**المركز الأول**	سلمان يوسف	مملكة البحرين
3	**المركز الثاني**	رائد شاكر الشيخ	المملكة العربية السعودية
4	**المركز الثالث (مناصفة)**	فهد تركي الجودي + سلمان يوسف	المملكة العربية السعودية

مجال البحث العلمي الجامعي			
5	**المركز الأول**	نواف بعيجان المطيري	دولة الكويت
6	**المركز الثاني**	موضي عيسى أحمد النشمي	دولة الكويت
7	**المركز الثالث**	عائشة محمد درويش الفودري	دولة الكويت
8	**المركز الرابع**	ريمية حسين سلمي المطيري	دولة الكويت
9	**المركز الخامس**	منى حمد عبد الله الطريف	المملكة العربية السعودية
10	**المركز السادس**	منى فيصل العتيبي	المملكة العربية السعودية

مجال الفن التشكيلي			
11	**المركز الأول***	روان عمر الراشد	مملكة البحرين
12	**المركز الأول (مناصفة)**	أحمد مجيد الأسد	مملكة البحرين
13	**المركز الثاني**	هشام عبد الرحيم شريف	مملكة البحرين
14	**المركز الثاني (مناصفة)**	فاطمة سلمان الهاشمي	مملكة البحرين
15	**المركز الثالث**	مها درويش المناعي	مملكة البحرين
16	**المركز الثالث (مناصفة)**	عبد الله إبراهيم الحايكي	مملكة البحرين

فازت فاطمة سلمان الهاشمي في مجال الفن التشكيلي

فاز رائد شاكر الشيخ عن فيلمه (الصندوق السحري) في مجال الأفلام القصيرة

فازت الطالبة منى حمد عبد الله الطريف في مجال البحث العلمي

معالي راعي الحفل الشيخ خالد بن عبدالله يكرم الاستاذ محمد بن ابراهيم المطوع

كما أعـرب سـعـادة الأسـتـاذ محمد بن إبـراهـيـم المطوع عـن سعادته للمشاركة في هـذا الاحتفال وأكـد أن الجائزة تعد واحدة من الإضافات الرائدة ضمن مسيرة الفكر الثقافية والإبـداع العربي بجميع جوانبه، بفضـل الرعـايـة والاهتمـام الـلـذين تحـظى بهما من قبـل عائلة كانو لإيمانها بأن العلم والثقافة هي الركائز والأسس التي يبنى عليها المستقبل.

بعدها ألقت الفائزة بجائزة البحث العلمي الجامعي منى حمد الطريف كلمة نيابةً عن الفائزين أعربت فيها عن شكرها وتقديرها لعائلة كانو على هذا التكريم وإسهاماته في دعم وتشجيع العلم والمبدعين من أبناء الخليج والوطن العربي الشيء الذي عزز روح الإبداع والاهـتـمـام بـالمشـروعـات العلمية المتميزة والرائدة مساهمة في خدمة الناس والمجتمع والارتقاء بنوعية الإنجازات المختلفة لتحقيق الأهداف المرجوة من إنشاء هذه الجائزة.

بعدها قـام معالي الشيخ خالد بن عبد الله آل خليفة راعي الحفل برفقة السيد خالد محمد كـانـو رئيس مجلس الأمـنـاء بتكريم الضيوف والفائزين وتقديم الشهادة والمكافآت المالية المتخصصة لجميع المجالات الفائزة.

بعدها قـام السيد خالد بن محمد كانو رئيس مجلس الأمناء بتكريم راعي الاحتفال معالي الشيخ خالد بن عبد الله آل خليفة.

قدم بعدها خالص تقديره وشكره لمعالي الشيخ خـالـد بـن عبد الله آل خليفة راعـي الاحتفال على دعمه وتشجيعه لأعمال الجائزة ومشروعات عائلة كانو من أجل خدمة النـاس والمـجـتـمـع، وقـدم تهانيه لجميع الفائزين بمسابقات الجائزة لهذه الـدورة (التاسعة) وتمنى لهم كل التوفيق والنجاح.

خالد محمد كانو يرأس مجلس إدارة مجموعة يوسف بن أحمد كانو

أعـلنت مجمـــوعة يوسف بن أحمد كانو تعيين خالد محمد كانو رئيساً لمجلس إدارة المجموعة الجديد.

وأكد مجلس الإدارة في بيان له: «إن مجلس إدارة مجموعة يوسف بن أحمد كانو يستذكر بكل الوفاء والتقدير الجهود والعطاءات التي قدمها رئيس مجلس الإدارة الراحل السيد مبارك جاسم كانو طيب الله ثراه، وأن العائلة تسعى دائماً لمواصلة عملية البناء والتطوير من أجل المحافظة على نماء ونجاح المجموعة وتدعيم مكانتها ونجاحاتها.

ويعد اختيار السيد خالد محمد كانو انعكاسا واضحا لتطلعات المجموعة المستقبلية، حيث إن العمل قائم لتحقيق رؤية المجموعة لعام 2020. وقد عرف السيد خالد محمد كانو في البحرين ودول مجلس التعاون الخليجي والعالم لسنوات عديدة كأحد أقطاب الاقتصاد في المنطقة، وأكد المجلس سعادته لتوليه رئاسة مجلس إدارتنا ومساعدة الإدارة التنفيذية والعملاء على تحقيق النجاح المستمر».

الجدير بالذكر أن السيد خالد محمد كانو صاحب ثروة من المعرفة والخبرة، حيث شغل العديد من المناصب والأدوار التنفيذية داخل وخارج المجموعة، وكذلك في العديد من مجالس الإدارة والجهات الحكومية. يذكر من هذه الأدوار ترؤسه غرفة تجارة وصناعة البحرين في دورتها الـ(25)، وكونه مؤسس ورئيس جمعية الشركات العائلية البحرينية،

السيد خالد كانو

إضافة إلى عضويته في مجالس إدارة عدد من البنوك وبيوت الاستثمار وترؤسه مجلس أمناء جائزة يوسف بن أحمد كانو وغيرها الكثير من الشركات الرائدة.

كما قام بتأليف كتابين، الأول بعنوان «بيت كانو» والثاني «غرفة تجارة وصناعة البحرين والتحديات المستقبلية لغرف دول مجلس التعاون الخليجي»، ولديه اهتمام كبير في تطوير الشركات العائلية الخليجية، وقد كتب الكثير من المقالات المختلفة عن الشركات العائلية، وكذلك ألقى محاضرات ورتب مؤتمرات وندوات عديدة في هذا الموضوع في دول عدة من داخل المنطقة وخارجها. كما يعد السيد خالد محمد كانو فناناً تشكيلياً له العديد من المشاركات في مملكة البحرين في مجال الفن التشكيلي.

الشيخة هلا بنت محمد آل خليفة تفتتح معرض الفن التشكيلي لجائزة يوسف بن أحمد كانو

الشيخة هلا بنت محمد تتوسط الحضور

أنابت الشيخة مي بنت محمد آل خليفة رئيس هيئة البحرين للثقافة والآثار الشيخة هلا بنت محمد آل خليفة المدير العام لهيئة البحرين للثقافة والآثار لافتتاح معرض الفن التشكيلي للفائزين والمشاركين بجائزة يوسف بن أحمد كانو للدورة التاسعة 2018م، والذي يأتي من إستراتيجية مجلس الأمناء لدعم وتشجيع الفائزين بالأعمال المميزة في مسابقاته تقديراً لمشاركتهم وتواصلاً مع المجتمع وزيادة مساحة المشاركات وإمكانية التعرف على مهارات وإبداعات الفائزين من أبناء الوطن العزيز حيث شارك في المعرض 11 فناناً ومشاركاً.

الشيخة هلا بنت محمد خلال افتتاحها المعرض

حضر حفل الافتتاح الأستاذ خالد محمد كانو رئيس مجموعة يوسف بن أحمد كانو ورئيس مجلس الأمناء، والسيد فوزي أحمد كانو عضو مجلس الإدارة القائم بأعمال الرئيس التنفيذي للمجموعة، وعدد من الفنانين والمهتمين بالحركة الفنية في البحرين.

وقد أعربت الشيخة هلا بنت محمد آل خليفة عن سعادتها للمشاركة في الحفل الفني، وأكدت إسهامات عائلة كانو في مختلف المجالات، ومن ذلك إسهاماتها المتعددة من أجل دعم المبدعين والمميزين من أبناء البلاد من خلال هذه الجائزة الرائدة والنوعية لدعم العلم والتفوق، وهي تأتي تشجيعاً للمبدعين والمميزين في مختلف مجالات المعرفة، تقديراً لعطائهم وإبداعاتهم.

بريشة الاستاذ خالد كانو